جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

" معالم الأسرة النبوية في القرآن الكريم "

إعداد
محمد سعيد محمد عنتري

إشراف
الدكتور عودة عبدالله

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الـــدين بكلية الدراسات العليا في جـــامعة النجاح الوطنية في نـــابلس ، فلسطين
2008 م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

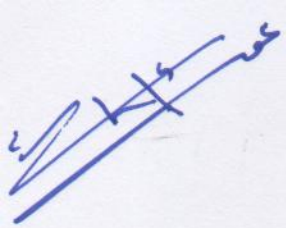

" معالم الأسرة النبوية في القرآن الكريم "

إعداد

محمد سعيد محمد عنتري

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ : 19 / 8 / 2008م وأُجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور عودة عبدالله (مشرفاً)	
الدكتور خالد علوان	
الدكتور حاتم جلال التميمي	

الإهداء

إلى سيد البشرية ، قائد الأمة الحبيب المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى والدَي ... اللذين غرسا في قلبي حبَّ العلم والعلماء ، سائلاً المولى عز وجلّ أنْ يرحمهما كما ربياني صغيراً .

إلى إخوتي نور عيوني وأَخواتي مهجة قلبي ، الذين ما آلوا جهداً في إعانتي وتشجيعي على مواصلة التحصيل العلمي ، ورفع معنوياتي في كل الظروف والأحوال .

إلى الذين نهلت على أيديهم الطيبة المباركة العلم الشرعي ، فكان لهم الفضل عليّ في هذا المقام ، أساتذتي الأفاضل في جامعة النجاح الوطنية ـ نابلس ، إليكم جميعا . وأنا غرس من غرسكم وثمر من ثماركم .

إلى كل إنسان شرح الله صدره للإسلام ، فاعتنقه عقيدةً وعملاً وسلوكاً.

أُهدي هذا العمل المتواضع

الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل وأشكره على نعمه التي لا تحصى ، وعلى هدايته وتوفيقه لي في كتابة هذه الرسالة وإتمامها ، فله الحمد وإليه يعود الفضل والخير ، وبعد :

فاعترافاً بالفضل لأهله ، وعملاً بالأدب الإسلامي الرفيع بشكر المحُسن على إحسانه ، أتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني لكل من كان له دورٌ وفعلٌ في مساعدتي ، وأخص بالذكر فضيلة الدكتور عودة عبدالله **الذي أشرف على رسالتي ، والذي لم يدّخر جهداً في إبداء توجيهاته القيمة وملاحظاته السّديدة ، ومنحني من وقته الكثير الكثير ، فجزاه الله خير الجزاء ، ونفعنا بعلمه .**

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأُستاذين الفاضلين اللذين تفضلا بقبول مناقشة الرسالة ، الاستاذ الدكتور خالد علوان **الذي أحسبه مخلصاً بعلمه وعطائه ، وأتقدم أيضا بعظيم الامتنان للأستاذ الدكتور** حـاتم جلال التميمي **حفظه الله ورعاه.**

فجزاهم الله عنا كل خير ...

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقرار

أنا الموقع أدناه ، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان : **معالم الأسرة النبوية في القرآن الكريم** .

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص ، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد ، وإن هذه الرسالة ككل ، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى .

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالب : Student's Name:

التوقيع : Signature :

التاريخ : Date :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرست المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	الإهداء	ت
2	شكر وتقدير	ث
3	إقرار	ج
4	فهرست المحتويات	ح
5	الملخص	ذ
6	مقدمـــة	1
7	مسوغات البحث ومشكلته وأهدافه	2
8	أهمية البحث	2
9	مشكلة البحث	2
10	أهداف البحث	2
11	الدراسات السابقة	3
12	منهجية البحث	4
13	خطة البحث	5
14	**الفصل الأول : (الأسرة النبوية مفهومها وملامحها)**	6
15	أولاً : تمهيد	7
16	ثانياً : الأسرة لغة واصطلاحاً	9
17	ثالثاً : الأسرة النبوية	11
18	رابعاً : الأسرة النبوية في السياق القرآني	17
19	**الفصل الثاني : حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأخلاقه في القرآن الكريم**	20
20	المبحث الأول : نشأة النبي صلى الله عليه وسلم	21
21	المبحث الثاني : مسكن النبي صلى الله عليه وسلم	24
22	المبحث الثالث : أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم – مع أسرته	29
23	**الفصل الثالث : الأسرة النبوية في مواجهة الشبهات**	32
24	تمهيد : الشبهات وأثرها على الأسرة	33
25	المبحث الأول : حادثة الإفـــك وأثرها على الأسرة النبوية	36

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

26	المطلب الأول : قصة الإفك وشدة البلاء	36
27	أولاُ : الصدّيقة وشدة بلاء الإفك	36
28	ثانياً : معنى الإفك والحكمة من التعبير بهذا اللفظ	40
29	ثالثاً : دور المنافقين في الحادثة	43
30	المطلب الثاني : أثر حادثة الإفك على الأسرة النبوية	45
31	أولاً : الصدّيقة ووقفة تأمل مع الصبر	45
32	ثانياً : طهر بيت النبوة	47
33	ثالثاً : الإفك معركة انتصر فيها النبي صلى الله عليه وسلم	51
34	المطلب الثالث: أثر حادثة الإفك على البيوت المؤمنة	53
35	أولاً : دور الأسرة المؤمنة في مواجهة الشبهات	53
36	ثانياً : الخيرية في حادثة الإفــك	57
37	ثالثاً : التربية الخُلقية للمؤمنين في آيات الإفــك	61
38	المبحث الثاني : زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وإبطال التبني	67
39	المطلب الأول : تبني النبي – صلى الله عليه وسلم – لزيد ابن حارثة وإبطال التبني	67
40	المطلب الثاني :الشبهات التي أثيرت حول زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – بزينب بنت جحش رضي الله عنها	71
41	**الفصل الرابع : خصوصيات الرسول – صلى الله عليه وسلم – في زواجه وأزواجه**	75
42	تمهــيد	76
43	المبحث الأول : خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم	77
44	المطلب الأول : ما أحل الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – من النساء	77
45	المطلب الثاني : حكم تطليق النبي – صلى الله عليه وسلم – واحدة من أزواجه	85
46	المطلب الثالث : قسمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين أزواجه بالسوية	88
47	المبحث الثاني : خصوصيات أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم	91

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

48	المطلب الأول : وعظ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم	91
49	المطلب الثاني : أحكام خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم	100
50	المطلب الثالث : بعض أحوالهن مع النبي صلى الله عليه وسلم	104
51	الخاتمة	109
52	فهرست الآيات	112
53	فهرست الأحاديث	117
54	المراجع والمصادر	119
55	ملخص البحث باللغة الإنجليزية	A

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" معالم الأسرة النبوية في القرآن الكريم "

إعــداد

محمد سعيد محمد عنتري

إشراف

الدكتور عودة عبدالله

" الملخص "

تعدُّ الأسرة النبوية المطهرة نموذجاً هادياً لأسر المسلمين ، والحديث عنها حديث ممتع وشــيِّق، ومَن كأهل البيت يُستحلى الحديث عنهم ؟! فهم صفوة الصفوة ، نستلهم منهم عبيــر الفضــائل ، ورحيق الإيمان ، وكريم الشمائل .

وقد تناولتُ في هذه الدراسة المتواضعة ، معالم الأسرة النبوية من خلال القرآن الكريم، فبيّنتُ أولاً مفهوم الأسرة النبوية ودلالتها في السياق القرآني ، ثم عرضــتُ لحياة النبي – صلى الله عليه وسلم – وجانباً من أخلاقه ، من خلال الحديث عن نشأته ومسكنه وخُلقه الذي ربــاه الله عليه ؛ ليقتدي به المؤمنون ، وينالوا بذلك رضوان رب العالمين .

ثم تحدثتُ عمّا اكتنف هذه الأسرة النبوية الشريفة من شبهات أثارها أعــداء الإســلام ، وردّدها ضعاف النفوس . وقد تمثلت في قصة المعاناة (حــادثة الإفك) وأثرها علــى البيــت الشريف وبيوت المؤمنين . وقصة زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من زينب بنت جحــش رضي الله عنها ، وما أثاره أهل الباطل من شبهات حول هذا الزواج والردّ عليهم .

وذكرت خصوصيات الرسول – صلى الله عليه وسلم – في زواجه ، وما أحله الله تعالى له من النساء ، وما اشترط عليه في الزواج .

وفي نهاية هذه الدراسة بيّنت خصوصيات أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومــا أعده الله تعالى لهن من عظيم الثواب ورفيع المنزلة .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

مـــقـــدمـــة :

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ويرضى ، والصلاة والسلام على رســول الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد :

فإن كل مؤمن موحد تشرئب نفسه ، ويتطلع فؤاده وعقله لمعرفة سيرة ســيد المرســلين الذي أقامه الله دليلاً هادياً ، وإماماً إليه داعياً ، ليترسم خطاه ، ويهتدي بهداه ، وينال بذلك رضا مولاه .

كما يتطلع بشغف وشوق لمعرفة سيرة البيت النبوي الكريم ، والذريــة الطــاهرة التــي رباها النبي – صلى الله عليه وسلم – على عينيه ، وأحاطها بوحي ربه ، وسقاها مــن معــين النبوة الأصفى ، ونور الوحي الأسمى ، حتى استحقت ثنــاء الله تعــالى چڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کچ الأحزاب : 33 ، ليكون هذا البيت الطاهر الكريم قدوة وأسوة له ولآل بيته ؛ فالنبي – صلى الله عليه وسلم – وآل بيته الطيبون هم وجهة البشرية الصحيحة ، على هديها نســير ، ومن هديها نقتبس ، ولآثارها نترسم ونتبع ، وإن تنكبناها فنحن في متاهات وشعاب ، وعقــاب وهضاب ولهاث وأتعاب .

إن السيرة النبوية العطرة ، وتاريخ الذرية الطاهرة متجــددان فــي الزمــان ، هاديــان للأجيال عبر حقبها المتطاولة ، وأمواجها المتلاحقة ، وسيكتبان في كل جيــل بلغتــه وأســاليبه ومفاهيمه .

وإسهامــاً في نشر هذه السيرة الزكية ، وقد تعددت المسالك وكثرت المتاهات ، وضعف سناها في أيامنا ، وتاه جُلّ الشباب عنها ، أقدم هذه الرسالة بعنوان (معالم الأسرة النبويــة فــي القرآن الكريم) لتكون منارةً للسائرين ، وزاداً للمتقين .

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبلها بقبول حسن ، ويجعلها هداية للمهتــدين إليــه ، وأن يبارك فيها ، ويوفقنا لكل خير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسوغات البحث ومشكلته وأهدافه :

أ – أهمية البحث :

لهذا البحث أهمية عظيمة في معرفة أحوال النبي – صلى الله عليه وسلم – الأسرية كما بينها القرآن الكريم ؛ لتكون بصيرة لكل مسلم في التعامل الأسري ، ولبيان خلق النبي – صلى الله عليه وسلم – في معاملاته لأهل بيته ، فيتحقق الاقتداء به في جميع شؤون حياته .

ويأتي هذا البحث لتخليص عقول المسلمين من بعض الشوائب التي وضعها المارقون في سيرته صلى الله عليه وسلم ، وبيان الأباطيل الموضوعة على ضوء العرض القرآني للأسرة النبيوية الشريفة ، وبيان الحق والصواب الذي ينير العقول والقلوب .

ب – مشكلة البحث :

تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية :

1– ما حجم المساحة التي أفردها القرآن الكريم في الحديث عن الأسرة النبوية ، وما هي الجوانب التي تناولها ؟

2– ما الطريقة التي تناول من خلالها القرآن الكريم هذا الموضوع ؟

3– ما الشبهات التي ذُكرت في حق الأسرة النبوية ؟ وكيف عالجها القرآن الكريم ؟

جـ – أهداف البحث :

1– إقامة الحجة الواضحة على وجوب الاقتداء بالنبي – صلى الله عليه وسلم – في جميع أحواله إلا خصوصياته.

2– الردّ على ما وضعه المستشرقون ومَن تبعهم وأثاروه حول أهل بيته الأطهار .

3– معرفة الكيفية التي من خلالها تحدث القرآن الكريم عن معالم الأسرة النبوية .

4– إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع له أهميته في تناول جزء من سيرته صلى الله عليه وسلم كما عرضها القرآن الكريم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسات السابقة :

بعد التحرِّي والتدقيق والبحث بما تيسر ، تبين أنّ هذا الموضوع لم يكتب فيه بشكل دراسة قرآنية مستقلة وشاملة لذاتها ، وإنما بُحث بشكل عابر في بعض الكتب ، ومنها :

1- (**محمد رسول الله**) لمحمد صادق عرجون ، الذي تعرض لبيان بعض الآيات القرآنية في الموضوع ، كآيات حادثة الإفك ، ولم يذكر ولم يفصل كل الآيات الخاصة ببيت النبوة .

2- (**الرسالة**) و (**محمد كأنك تراه**) و (**رحمة للعالمين**) للدكتور عائض القرني ، الذي ذكر الموضوع على سبيل الوعظ والإرشاد ، وأسهب في الحديث عن بعض أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – منطلقاً في ذلك من كتب السيرة النبوية.

3- (**قصص النساء في القرآن**) لعبد المنعم الهاشمي ، تناول فيه حديث القرآن الكريم عن زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من زينب بنت جحش – رضي الله عنها – بشكل قصصي.

4- (**الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولمحات من حياته وأنوار من هديه**) للدكتور عبد الحليم محمود ، ذكر فيه نسب النبي – صلى الله عليه وسلم – وتوجيهات قرآنية له دون التطرق للآيات القرآنية المتعلقة بالأسرة النبوية .

5- (**مع الأنبياء في القرآن**) لعفيف طبارة ، عرض فيه لمحنة النبي – صلى الله عليه وسلم – في حادثة الإفك وما فيها من دروس وعبر .

6- (**فقه السيرة النبوية**) لمحمد سعيد رمضان البوطي ، ذكر فيه آيات حادثة الإفك بشكل فقهي دون تفصيلها ، فلم تكن دراسة قرآنية مستقلة .

7- (**نساء أهل البيت**) لأحمد خليل جمعة ، ذكر فيه نساء أهل البيت وأحوالهن من السيرة النبوية .

8- (**المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**) للدكتور عبد الكريم زيدان ، ذكر فيه جزءاً من العرض القرآني للأسرة النبوية كحادثة الإفك والتبني ، وركّز على الدروس التي يمكن أنْ يُفيدها الدعاة من هذه الأحداث .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويُلحظ في الدراسات السابقة بشكل عام ، أنّها دراسات لجوانب معينة في السيرة النبوية، ولم تتناول بشكل مستقل الأسرة النبوية من خلال حديث القرآن الكريم عنها .

أما هذه الرسالة فتمتاز بأنها : دَرسْت الأسرة النبوية دراسة قرآنية محضة ، وتوسعت فيها، وجمعت الآيات القرآنية في الموضوع ، وردّت على الشبهات التي أُثيرت حول الأسرة النبوية الشريفة ، بل إنها ربطت الأسرة النبوية بالواقع باعتباره صلى الله عليه وسلم القدوة الأولى للمسلمين .

منهجية البحث :

اتبعتُ في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي أولاً ، وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن معالم الأسرة النبوية ، ثم استعنت بالمنهج التحليلي في تحليل هذه الآيات وفق منهجية البحث في التفسير الموضوعي ، وقد اتبعت في تحقيق ذلك الخطوات الآتية :

1- جمع الآيات التي تحدثت عن موضوع الأسرة النبوية وعزوها إلى سورها .

2- الرجوع إلى المصادر الرئيسة المعتمدة في هذا الموضوع لجمع وتوفير المادة العلمية ذات الصلة به ، وفي مقدمتها كتب التفسير القديمة منها والحديثة.

3- اتباع الأسلوب العلمي بتوثيق المعلومات بشكل علمي دقيق وعزو الأقوال إلى أصحابها .

4- وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي ، ليخرج البحث بصورة جيدة وسهلة المنال .

حدود الدراسة :

هذه الدراسة تدور في نطاق النصوص القرآنية ، لأنها ملتزمة بمنهجية التفسير الموضوعي للقرآن ، ولكن لا يمنع ذلك من الاستشهاد بالأحاديث النبوية على أن لا تستقل بعناوين خاصة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خطة البحث

الفصل الأول : الأسرة النبوية (مفهومها وملامحها) ، وفيه :-

أولاً : تمـــهيد

ثانيـــاً : الأسرة لغة واصطلاحاً

ثالثـــاً : الأسرة النبوية

رابعـــاً: الأسرة النبوية في السياق القرآني

الفصل الثاني : حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأخلاقه في القرآن الكريم، وفيه :-

المبحث الأول : نشأة النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني : مسكن النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثالث : أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

الفصل الثالث : الأسرة النبوية في مواجهة الشبهات ، وفيه :

المبحث الأول : حـــادثة الإفـــك وأثرها على الأسرة النبوية

المبحث الثاني : زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وإبطال التبني

الفصل الرابع : خصوصيات الرسول – صلى الله عليه وسلم – في زواجه وأزواجه ، وفيه :-

المبحث الأول : خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني : خصوصيات أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الأسرة النبوية (مفهومها وملامحها)

أولاً : تمـــهيد

ثانيـــاً : الأسرة لغة واصطلاحاً

ثالثـــاً : الأسرة النبوية

رابعـــاً: الأسرة النبوية في السياق القرآني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الأسرة النبوية (مفهومها وملامحها)

أولاً : تمهيد

اصطفى الحق – سبحانه– من البشرية نماذج هادية، تنير دروب الحياة، وتهدي السالكين مسالك النجاة ، واصطفى الحق –جل وعلا– محمداً بن عبدالله ليكون نبراس البشرية الأسمى، وهادي هداتها الأعلى ، إنه خلاصة الكمال الإنساني وقمته حسًّا ومعنى ، فهو صفوة الصفوة وخلاصة الطاهرين وقدوة السائرين [1].

جاء عنه – صلى الله عليه وسلم – وهو الصادق المصدوق قوله : ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)) [2] .

وفي حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنْ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ)) [3] .

فكان من طيب عنصره صلوات الله وسلامه عليه، أنْ تقلب في الأصلاب الزاكية والأرحام الطاهرة ، إلى أن وُلِد من عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم وآمنة بنت وهب، وهما مثال العفة والطهارة والشرف، في مجتمع جانح منحرف، شاعت فيه صنوف الرذيلة، ولكن الله تعالى حمى هذه السلالة الشريفة والدوحة الطاهرة العفيفة.

وكان من طيب عنصره المادي وكماله الخَلقي أنه أجمل الناس مظهراً ، وأطيبهم مخبراً، أما جمال مظهره فهو مقياس الجمال وقمة الحسن والكمال ، لكنه جمال الرجولة .

1– انظر: حمادة ، فاروق: **الدوحة النبوية الشريفة** ، ط1 ، دمشق : دار القلم ، ص31 .

2– رواه مسلم ، انظر : مسلم بن الحجاج النيسابوري : **صحيح مسلم بشرح النووي** ، 16جزء ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، ط2 ، بيروت : دار المعرفة ، 1999م ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي – صلى الله عليه وسلم رقم الحديث : (4221)، جـ15 ، ص38 .

3– رواه البخاري . انظر : البخاري ، محمد بن اسماعيل ، **صحيح البخاري** ، 8 أجزاء ، تحقيق محمد بن زهير ناصر الناصر ، ط1، بيروت : دار طوق النجاة ، 1422هـ ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (3557)، جـ4 ، ص189 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ)) [1] .

وقال: ((... رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ لَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ)) [2].

وقال كعب بن مالك الأنصاري: ((... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ)) [3] .

ومن كمال جماله طيب ريحه كما أخبر بذلك أنس بن مالك رضي الله عنه حين قال : ((مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا [4] قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) [5] .

أما أخلاقه الشريفة ، فيكفي للدلالة عليها قوله تعالى : چ گ گ گ ں چ القلم: 4 ، فقد اجتمعت مكارم الأخلاق فيه ، فما خُلُقٌ دعا إليه القرآن إلا كان أول عامل به وداع إليه، وما خلقٌ حذر منه القرآن إلا كان أول مجتنب له وناهٍ عنه ، فقد زكى الله تعالى استقامته و كلامه وعلمه وفؤاده وبصره وصدره وخلقه ورفع ذكره وزكاه كله بقوله : چ ک ک گ گ گ چ الأنبياء: 107.

1- رواه البخاري . **صحيح البخاري** ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (3549)، جـ4 ص188 .

2- رواه البخاري . **صحيح البخاري** ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (3551)، جـ4 ص188 .

3- رواه البخاري . **صحيح البخاري** ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (3556)، جـ4 ، ص 189 .

4- العَرْف: الريح الطيب . انظر : ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، 15 جزءاً ، تحقيق : الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، ط3 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2000م ، جـ6 ، ص706 .

5- رواه البخاري . **صحيح البخاري** ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (3297)، جـ4 ، ص201 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيـــاً : الأسرة لغة واصطلاحاً

الأسرة لـــغـــة :

أصل كلمة الأسرة مأخوذ من الأَسْر بمعنى الشدّ والعصب [1] .

قال الراغب الأصفهاني : "وأسرة الرجل من يتقوى به ، قال تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ الإنسان: 28 ، إشارة إلى حكمته – تعالى– في تراكيب الانسان المأمور بتأملها وتدبرها في قوله تعالى : ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ الذاريات: 21 " [2] .

وقال ابن منظور : " وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم " [3] .

" لفظ الأسرة لم يرد ذكره في القرآن الكريم ، كذلك لم يستعمله الفقهاء في عباراتهم فيما نعلم . والمتعارف عليه الآن إطلاق لفظ (الأسرة) على الرجل ومن يعولهم من زوجه وأصوله وفروعه . وهذا المعنى يعبر عنه الفقهاء قديما بألفاظ منها : الآل ، والأهل ، والعيـــال. كقـــول النفراوي المالكي : من قال : الشيء الفلاني وقف على عيالي ، تدخل زوجته في العيال . وفـــي ابن عابدين : أهله زوجته ، وقالا ، يعني صاحبي أبي حنيفة : كل من في عياله ونفقتـــه غيـــر مماليكه ، لقوله تعالى : ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ الشعراء: ١٧٠ " [4]

يتبين مما سبق أن المقصود بالأسرة في اللغة جماعة الانسان الذين يتقـــوى بهم ويحتمي بـــهم " فالانسان لا يكون قويـــاً عزيزًا في منعة إلا إذا كان في أسرة تحصنه وتمنعه " [5].

1- انظر : الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني : **تاج العروس** ، 10 أجزاء ، ط1 ، بيـــروت : دار مكتبة الحياة ، 1406 هـــ ، جـــ3 ، ص13 .

2- الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب : **المفردات في غريـــب القـــرآن** ، ط2 ، بيـــروت : دار المعرفة ، 1999 م ، ص 27 .

3- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : **لسان العرب** . 12 جزءاً ، بيروت : دار صـــادر ، جـــ4 ، ص 19 .

4- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية : **الموسوعة الفقهيـــة الكويتيـــة** ، 45 جـــزءاً ، ط2 ، الكويـــت : دار السلاسل، 1427هـــ ، جـــ4 ، ص223 – 224 .

5- فرج ، السيد أحمد : **الأسرة في ضوء الكتاب والسنة** ، ط1 ، مصر : دار الوفاء ، 1407هـــ ، ص6 .

www.manaraa.com

الأسرة اصـــطلاحاً:

من المعروف أن الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع الكبير ، لأنها تمثل جزءاً منه ، فهي بهذا : مجموعة الأفراد الذين ارتبطوا بـــرباط إلهي هو ربـــاط الزوجية [1].

والناظر في تعريفات الأسرة يرى أن بعضها يتسع ، وبعضها يضيق ليحصـــرها فـــي الزوجين والأولاد. والواقع أن الأسرة قد تكبر وقد تصغر ، إلا أنها في الغالب تمثل المجموعـــة المتناسلة من الأب والأم فهما الرباط بين هذه المجموعة سواء كبرت أو صغرت ، وهـــم غالبـــاً يعيشون تحت سقف واحد وتجمعهم مصالح مشتركة .

1- انظر : حمادي ، عبد المحسن : **مدخل إلى أصول التربية** ، ط4 ، الكويت : كويت تايمز ، 1995 م ، ص90 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : الأسرة النبوية

أما الأسرة النبوية فلا أريد بها ذلك المفهوم الواسع الذي يشمل كل أقارب الرسول – صلى الله عليه وسلم – بل أقصد هنا والدَي النبي – صلى الله عليه وسلم – وأولاده وأزواجه ويدخل معهم بعض من أقاربه كأعمامه .

ولا خلاف أنه – عليه الصلاة والسلام – ولد بجوف مكة وأن مولده كان عام الفيل. ولكن اختُلف في وفاة أبيه عبدالله ، هل توفي قبل ولادة الرسول – صلى الله عليه وسلم – أم بعدها؟ عَلَى قَوْلَيْنِ [1] أَصَحّهُمَا : أَنّهُ تُوُفّيَ وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَمْلٌ . وَالثّانِي : أَنّهُ تُوُفّيَ بَعْدَ وِلَادَتِهِ بِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ . ولا خلاف أنّ أمه – آمنة بنت وهب – ماتت بين مكة والمدينة بالأبواء [2] وهي منصرفة من زيارة أخواله ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين [3].

أما زوجاته – صلى الله عليه وسلم – فهن على الترتيب [4]:

1– خديجة بنت خويلد، تزوجها وهو في خمس وعشرين من سنه، وهي في الأربعين، وهي أول من تزوجه من النساء، ولم يتزوج عليها في حياتها ، وكان له منها أبناء وبنات. أما الأبناء فهم : القاسم ، وعبدالله وماتوا وهم صغار . أما البنات فهن : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة . وتوفيت السيدة خديجة رضي الله عنها في السنة العاشرة للبعثة .

1– توسع صاحب السيرة الحلبية في الموضوع أكثر من ذلك فذكر ستة أقوال :

- توفي بعد مضي شهرين من الحمل .
- توفي قبل أن يولد النبي – صلى الله عليه وسلم – بشهرين .
- توفي بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بشهرين .
- توفي بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بسبعة أشهر .
- توفي بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بثمانية عشرة شهراً .
- توفي بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بثمانية وعشرين شهراً .

[انظر : الحلبي ، علي بن برهان الدين : **السيرة الحلبية (انسان العيون في سيرة الأمين المأمون)** ، 3 أجزاء ، القاهرة : دار الاستقامة ، 1962 م ، جـ1 ، ص55].

2– هي قرية من أعمال الفرع في المدينة ، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة 23 ميلاً . انظر : الحموي ، شهاب الدين أبوعبدالله : **معجم البلدان** ، 5 أجزاء ، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، جـ 1 ، ص .102

3– انظر : ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد : **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، ط3 ، 6 أجزاء، بيروت : مؤسسة الرسالة ، جـ1 ، ص.73

3– انظر : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : **الفصول في سيرة الرسول** ، ط3 ، عمّان: دار أسامة للنشر ، 1998م ، ص177 .

4– انظر : المباركفوري ، صفي الرحمن : **الرحيق المختوم** ، قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 2007م ، ص473 – 474 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- سودة بنت زمعة، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة عشر من النبوة، بعد وفاة خديجة بنحو شهر، وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو، فمات عنها. توفيت بالمدينة في شوال سنة54هـ.

3- عائشة بنت أبي بكر الصديق، المبرأة من فوق سبع سماوات ، عرضها عليه الملك قبل نكاحها في سَرَقَةٍ من حرير [1] ، وقال : ((هذه زوجتك)) [2] ، فتزوجها في شوال سنة إحدى عشرة من النبوة، بعد زواجه بسودة بسنة، وقبل الهجرة بسنتين وخمسة أشهر، تزوجها وهي بنت ست سنين، وبني بها في شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر في المدينة، وهي بنت تسع سنين، وكانت بكرًا ولم يتزوج بكرًا غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، وأفقه نساء الأمة، وأعلمهن على الإطلاق، فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام [3] توفيت في السابع عشر من رمضان سنة 57هـ أو 58هـ ودفنت بالبقيع.

4- حفصة بنت عمر بن الخطاب، تأيمت من زوجها خنيس بن خذافة السهمي بين بدر وأحد، فلما حلت تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شعبان سنة 3هـ توفيت في شعبان سنة 45هـ بالمدينة، ولها ستون سنة، ودفنت بالبقيع.

5- زينب بنت خزيمة من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تسمى أم المساكين، لرحمتها إياهم ورقتها عليهم، كانت تحت عبد الله بن جحش، فاستشهد في أحد، فتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سنة 4هـ. ماتت بعد الزواج بنحو ثلاثة أشهر في ربيع الآخر سنة 4هـ، فصلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم، ودفنت بالبقيع.

6- أم سلمة هند بنت أبي أمية، كانت تحت أبي سلمة، وله منها أولاد، فمات عنها في جمادى الآخر سنة 4هـ، فتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ليال بقين من شوال السنة نفسها، وكانت من أفقه النساء وأعقلهن. توفيت سنة 59 هـ، وقيل: 62هـ، ودفنت بالبقيع، ولها 84 سنة.

1- سَرَقَة : قطعة . انظر : ابن حجر : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، جـ12 ، ص495 .

2- رواه البخاري ، انظر: **صحيح البخاري** ، كتاب التعبير ، باب كشف المرأة في المنام ، رقم الحديث: (7011)، جـ8، ص 97 .

3- عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ((فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)) . رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب المناقب ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ، رقم الحديث : (3770) ، جـ5 ، ص29 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7- زينب بنت جحش بن رئاب من بني أسد بن خزيمة، وهي بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب ، كانت تحت زيد بن حارثة – الذي كان يعتبر ابنا للنبي صلى الله عليه وسلم – فطلقها زيد، فلما انقضت العدة أنزل الله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم چڈ ڈ ڈ ڈ ژچالأحزاب: ٣٧ ، وفيها نزلت من سورة الأحزاب آيات فصلت قضية التبني – وسنأتي على ذكرها – تزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة. وقيل: سنة 4هـ، وكانت أعبد النساء وأعظمهن صدقة، توفيت سنة 20هـ ولها 53 سنة. وكانت أول أمهات المؤمنين وفاة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، صلى عليها عمر بن الخطاب، ودفنت بالبقيع.

8- جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق من خزاعة، كانت في سبي بني المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها، فقضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كتابتها، وتزوجها في شعبان سنة 6هـ. وقيل: سنة 5هـ ، فأعتق المسلمون مائة أهل بيت من بني المصطلق، وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أعظم النساء بركة على قومها. توفيت في ربيع الأول سنة 56هـ. وقيل: 55هـ ولها 65 سنة.

9- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، كانت تحت عبيد الله بن جحش، فولدت له حبيبة فكنيت بها، وهاجرت معه إلى الحبشة، فارتد عبيد الله وتنصر، وتوفي هناك، وثبتت أم حبيبة على دينها وهجرتها، فلما بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عمرو بن أميه الضمري بكتابه إلى النجاشي في المحرم سنة 7هـ. خطب عليه أم حبيبة فزوجها إياه وأصدقها من عنده أربعمائة دينار، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة. فابتنى بها النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد رجوعه من خيبر. توفيت سنة 42هـ، أو 44هـ، أو 50هـ.

10- صفية بنت حيي بن أخطب سيد بن النضير من بني إسرائيل، كانت من سبي خيبر، فاصطفاها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لنفسه، وعرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها بعد فتح خيبر سنة 7هـ، وابتنى بها بسد الصهباء على بعد 12 ميلاً من خيبر في طريقه إلى المدينة. توفيت سنة 50هـ وقيل: 52هـ، وقيل 36هـ، ودفنت بالبقيع.

11- ميمونة بنت الحارث، أخت أم الفضل لبابة بنت الحارث، تزوجها في ذي القعدة سنة 7هـ، في عمرة القضاء، بعد أن حل منها على الصحيح. وابتنى بها بسَرِف على بعد 9 أميال من مكة، وقد توفيت بسرف سنة 61هـ، وقيل: 63، وقيل: 38هـ ودفنت هناك، ولا يزال موضع قبرها معروفا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد وطئ النبي – صلى الله عليه وسلم – بملك اليمين مارية بنت شمعون القبطية وريحانة بنت زيد القرظية .

* أما مارية فقد أهداها المقوقس للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقبل وصولها المدينة المنورة أسلمت ، ولما وصلت أنزلها الرسول – صلى الله عليه وسلم – منزلاً كريماً عند حارثة بنت النعمان ، ثم حولها إلى مكان يحمل اسمها ، فكان يُقال له " مشربة أم ابراهيم في العالية " [1].

في شهر ذي الحجة من السنة الثامنة للهجرة ولدت مارية طفلاً جميلاً شديد الشبه لأبيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسمّاه يوم سابعه ابراهيم تيمناً بأبيه ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ، وبهذه الولاده أصبحت مارية حرة [2] .

وعاش ابراهيم ابن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سنة وبعض السنة ، ومات في شهره الثامن عشر ، وكان وفاته يوم الثلاثاء لعشر ليالٍ خلت من ربيع الأول سنة عشر للهجرة[3] . ولمارية أم ابراهيم شأنٌ كبير في أحداث السيرة النبوية ، كما لها شأن عظيم في الآيات المباركة ، فقد أنزل الله عز وجل ضدر سورة التحريم بسببها [4] . وفي هذا اشارة كريمة إلى مكانتها وكرامتها .

عاشت مارية رضي الله عنها في ظلال الخلافة الراشدة قرابة خمس سنين ، ولما كان المحرم من السنة السادسة عشر للهجرة شعرت بالمرض ، وأحست بدنو الأجل ، ولم تمض إلا أيام قلائل حتى صعدت روحها إلى بارئها راضية مرضية ، وصلّى عليها عمر وكثير من الصحابة ، ودفنت بالبقيع إلى جانب نساء أهل البيت النبوي ، وإلى جانب ابنها ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] .

1- انظر : الحلبي : **السيرة الحلبية** ، جـ3 ، ص419 . الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان : **تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام** ، تحقيق الدكتور عمر ترميس ، ط1 ، بيروت : دار الكتاب العربي، 1987م ، ص597 .

2- انظر : ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني : **الإصابة في تمييز الصحابة** ، 4 أجزاء ، بيروت : دار الكتاب العربي ، جـ4 ، ص.391

3- انظر : البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر : **أنساب الأشراف** ، 12جزءاً ، تحقيق محمد حميدالله ، مصر : دار المعارف ، جـ1 ، ص451 .

4- انظر : الواحدي ، أبو الحسن علي بن محمد النيسابوري : **أسباب النزول** ، تحقيق الدكتور مصطفى البغا ، ط1 ، دمشق : دار ابن كثير ، 1988م ، ص 357 – 358 .

5- انظر : ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري : **الطبقات الكبرى** ، 8 أجزاء ، ط1 ، بيروت: دار صادر، جـ8 ، ص216 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* أما ريحانة بنت زيد القرظية كانت مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم . قُتل زوجها في غزوة بني قريظة ، فوقعت في السبي ، فكانت صفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم ذاك ، فأرسلها إلى منزل الصحابية أم المنذر سلْمة بنت جحش الأنصارية ، وأسلمت بعد ذلك ، وأعرس بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من بيت أم المنذر في المحرم من سنة ستٍ للهجرة [1] .

ولم تكن حياة ريحانة طويلةً في رحاب البيت النبوي الطاهر ، وإنما لقيت وجه ربها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وماتت عندما رجع من حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة[2] ، ودفنها بالبقيع [3] .

أما أولاده : فقد اتفق العلماء أن للنبي – صلى الله عليه وسلم – ستة أولاد هم : القاسم، وإبراهيم ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة . وعبدالله ويسمى بالطيب والطاهر لأنه ولد بعد النبوة . وكان يكنّى– عليه الصلاة والسلام– بأبي القاسم أكبر أولاده وأول من مات منهم ، ولد بمكة قبل النبوة ومات صغيرًا ، وقيل عاش حتى بلغ سن التمييز [4].

ولما مات القاسم قال المشركون : إن محمدًا أبترٌ ؛ أي مقطوعٌ ، وزعيم هذا القول هو العاص بن وائل السهمي ، إذ كان يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم : دعوه فإنه أبتر لا عقب له ، فإن هلك انقطع ذكره ، فأنزل الله تعالى : چ ک ک ک ک الكوثر: 3 وشانئك هو مبغضك وعدوك[5] . وهذا يدل على أن القاسم قد توفي بعد النبوة والبعثة .

وأما بناته الشريفات فكلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه صلوات الله وسلامه عليه ، وأكبرهن زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة ريحانة رسول الله – صلى الله عليه

1– انظر : ابن سيد الناس ، محمد بن عبدالله بن يحيى : **عيون الأثر في فنون المغازي والسير** ، جزءان ، ط3 ، بيروت: دار الأفاق ، 1982م ، جـ2 ، ص284 .

2– انظر : ابن سعد : **الطبقات** ، جـ8 ، ص130 .

3– انظر : ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد : **تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير** ، مصر : مكتبة الآداب ، ص 23 .

4– انظر : ابن قيم الجوزية : **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، جـ1 ، ص 78 .

5– انظر : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : **تفسير القرآن العظيم** ، ط1 ، 5 أجزاء بيروت : دار صادر ، 1999م ، جـ5 ، ص265 . السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، 10 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية ، جـ8 ، ص646 – 647 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسلم – وسيدة نساء أهل الجنة [1] رضي الله عنهن . فأما زينب فتزوجها قبل الهجرة ابن خالتها ؛ أبوالعاص بن الربيع، وأما رقية وأم كلثوم فقد تزوجهما عثمان بن عفان رضي الله عنه الواحدة بعد الأخرى، وأما فاطمة فتزوجها علي بن أبي طالب بين بدر وأحد، ومنها كان الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم. [2].

1- انظر : البخاري : **صحيح البخاري** ، كتاب المناقب ، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، رقم الحديث : (3353) ، جـ5 ، ص20 .

2- انظر : المباركفوري ، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم : **الرحيق المختوم** ، الرياض : مكتبة نزار مصطفى الباز ، 1424 هـ ، ص44 . الدولابي ، محمد بن الصباح : **الذرية الطاهرة** ، ط1 ، الكويت : الدار السلفية، ص42 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً : الأسرة النبوية في السياق القرآني

تحدث القرآن الكريم عن الأسرة النبوية في سياقات مختلفة أجملها في الآتي :

أولاً : ذكر موطنه ومنزله ومكان ولادته في قوله تعـالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ البلد:1-3. كما ذكر القرآن الكريم نشأته ، ووصف عيشه قبل بعثته وفقره المادي فـي قوله تعالى : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ الضـحى: 6-8. وتحدث القرآن الكريم عن نقائه وصفائه وتطهير قلبه ونفسه من حظوظ الشيطان بقوله سبحانه: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ الشـرح: ١ - ٤ . وتـحدث - سبحانه وتعالى - عـن بيوتـه ومسكنه فقال سبحانه: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ الحجرات: ٤.

ثـانيًا : تحدث القرآن الكريم عن أبنائه بقوله : ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ الأحزاب: ٤ وقـوله: ﭽ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ الأحزاب: 40 ، وهذا الحـديث جـاء فـي معـرض إبطـال التبني وآثاره، وإثبات النسب الحقيقي. وقد جاءت إشارة إلى الحديث عن أبناء النبـي - صلى الله عليه وسلم - في سورة الكوثر[1] في معرض الرد على أقوال المشـركين وعـدائهم للنبي صلى الله عليه وسلم .

ثـالثاً : أكثر القرآن الكريم من الحديث عن أزواج النبي - صلى الله عليه وسـلم - بصـورة عامة وما لهن وما عـليهن فقال سبحانه : ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ

1- الكوثر من الكثرة : وهو الخير الكثير في الدنيا والآخرة . [انظر : ابن كثير : **تفسير القـرآن العظـيم** ، جـ5 ، ص264 . الصوّاف ، محمد محمود : **فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن تفسير وبيان** ، ط1 ، مكـة : دار العلـم ، 1985م ، ص536 . الزبيدي : **تاج العروس** ، جـ3 ، ص516 . ابن منظور : **لسان العرب** ، جـ5 ، ص131].

ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ الأحزاب: ٥٠ - ٥٢ ، وفـي مـعرض هذا الحديث نظّـم الله تعالى عـلاقة المسلمين ببيت النبوة بقولـه : ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ □ ﭼ الأحزاب: ٥٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد وعظ الله تعالى أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – فخيرهن بين الدنيا والآخرة، وبين أحكاماً خاصة بهن وذلك كله في سورة الأحزاب ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ... ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼالأحزاب: ٢٨ – ٣٨ .

رابعًــا: تحدث القرآن الكريم عن بعض أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – بشكل خاص، فتحدث عن السيدة عائشة الطاهرة العفيفة عندما برأها من الإفك فقال ســبحانه وتـــعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ النور: 11 إلـــى قـــوله تعالى ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ النور: 26 .

وتحدث أيضاً عن زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من السيدة زينب بنت جحــش رضي الله عنهــا ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼالأحزاب: 37–38. وقــد تحــدث أيضا عن حفصة بنت عمر وعائشة ومارية القبطية –رضي الله عنهن– في بداية سورة التحريم في معرض عتاب النبي – ρ – تحريم شيء على نفسه ، فقال تعـــالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼالتحريم: 1 .

خامسًا: وقد تحدث القرآن الكريم عن وعظ النبي – صلى الله عليه وسلم – لأزواجــه وبناتــه ونساء المؤمنين، وأمرهن بالحجاب في سورة الأحــزاب ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼالأحزاب: 59 .

وسيأتي – بإذن الله عز وجل– الحديث عما تقدم بالتفصيل ؛ إذ إنّ البشرية التائهة اليوم، الحائرة بالأمس ، حقيق عليها أن تفيء إلى دوحة الأسرة النبويـــة الشـــريفة فتســتظل بـــوارف ظلالها.

وحقيق على الأمة الإسلامية اليوم ، وأهل العلم منها خاصة أن يعرِّفــوا بهــذه الأســـرة المباركة ، ويقدموا هديها وأخلاقها ومكارمها وسيرتها في مؤتمرات وندوات ولقاءات ودراسات، لمن يعرفها تذكيرًا ولمن يجهلها تعليمًا ، ولهؤلاء وأولئك تفهيماً ؛ لتكون بلسمًا يشـــفي العليـــل ، ونبراسًا يهديهم السبيل .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأخلاقه في القرآن الكريم

المبحث الأول : نشأة النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني : مسكن النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثالث : أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

نشأة النبي صلى الله عليه وسلم

نشأ صلى الله عليه وسلم يتيماً كما يدل على ذلك قوله تعالى: چڈ ژ ژ ڑ چالضحى: 6. واليتيم : هو الصبي الذي مات أبوه [1] . وكان أبو النبي – صلى الله عليه وسلم – قد توفي وهو جنين في بطن أمه كما سبق [2] .

وفي الآية السابقة امتنان من الله تعالى على نبيه الكريم بأن آواه وهداه إلى طريق الحق، وأنشأه على كمال الإدراك والاستقامة ، والتربية الكاملة ، على الرغم من كونه يتيماً .

وقال تعالى : چک ک ک چالضحى: ٧ ، قال الراغب : " وإذا كان الضلال ترك الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً ، قليلاً كان أو كثيراً ، صحّ أن يُستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأٌ ما ، ولذلك نُسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار ، وإن كان بين الضلالين بوْنٌ بعيد ، إلا ترى أنه قال في النبي صلى الله عليه وسلم : چک ک ک چ أي غير مهتدٍ لما سيق إليك من النبوة " [3].

وذكر القرطبي في معنى ضالاً في قوله تعالى: چک ک چ أقوالاً منها [4]:

* ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك الله إليها .
* غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة .
* وجدك في قوم ضلاّل فهداهم الله بك .
* وجدك طالباً للقبلة فهداك إليها .
* وجدك ضالاً إلى الهجرة فهداك إليها .
* وجدك محباً للهداية فهداك إليها ، ويكون الضلال بمعنى المحبة .
* لا أحد على دينك ، وأنت وحيد ليس معك أحد ، فهديت بك الخلق إلي .

1- انظر : ابن منظور : **لسان اللسان** ، جـ 2 ، ص 768 .

2- انظر ص 12 .

3- الراغب : **المفردات في غريب القرآن** ، ص301 .

4- انظر القرطبي ، محمد بن أحمد : **الجامع لأحكام القرآن** ، عشرون جزءاً ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط1 ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 2004 م ، جـ20 ، ص 87-88.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والراجح كما يبدو لي هو القول الأول ، أي أنه – صلى الله عليه وسلم – كان ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة ، فهداه الله تعالى وجعله نبياً ورسولاً ، يدل على ذلك ما جاء في الحديث الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه كان قبل البعثة كثير التفكر في الكون [1].

قال سيد قطب : " والهداية من حيرة العقيدة وضلال الشعاب فيها هي المنة الكبرى، التي لا تعدلها منة؛ وهي الراحة والطمأنينة من القلق الذي لا يعدله قلق؛ ومن التعب الذي لا يعدله تعب ، ولعلها كانت بسبب ما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعانيه في هذه الفترة ، من انقطاع الوحي وشماتة المشركين ووحشة الحبيب من الحبيب . فجاءت هذه تذكره وتطمئنه على أن ربه لن يتركه بلا وحي في التيه وهو لم يتركه من قبل في الحيرة والتيه! " [2].

إنّ نبينا محمداً – صلى الله عليه وسلم – لم يصدر منه ما ينافي أصول الدين قبل البعثة، ولم يزل العلماء يجعلون من تواتر حال استقامته ونزاهته عن الرذائل قبل نبوته دليلا من جملة الأدلة على رسالته ، بل تكلم القرآن الكريم عنه مبيناً للمشركين حالته قبل بعثته فقال سبحانه : چڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑک ک ک چيونس: 16 . وقال : چے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ چالمؤمنون: 69 ، ولأنه لم يؤثر أن المشركين أفحموا النبي – صلى الله عليه وسلم – في ما أنكر عليهم من مساوئ أعمالهم بأن يقولوا : فقد كنت تفعل ذلك معنا .

ويبين لنا القرآن الكريم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نشأ فقيراً ، وهذا يدل عليه قوله تعالى : چگ گ گ چالضحى: 8 .

قال ابن الجوزي في زاد المسير : " قوله تعالى چگ گ چ قال أبو عبيدة : ذا فقر ... قال ابن قتيبة : العائل : الفقير ، كان له عيال أو لم يكن . يُقال عال الرجل : إذا افتقر. وأعال : إذا كثر عياله [3] .

1- تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : " ... ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد الليالي ذوات العدد – قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك .." رواه البخاري ، انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : 3 ، جـ1 ، ص7 .

2- قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ، 6 أجزاء ، ط1 ، القاهرة : دار الشروق ، 1997 م ، جـ6 ، ص3927 .

3- ابن الجوزي ، ابو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد : **زاد المسير في علم التفسير** ، 7 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1994م ، جـ8 ، ص282 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن عاشور : " قد أغناه الله غناءين : أعظمهما غنى القلب ؛ إذ ألقى في قلبه قلة الاهتمام بالدنيا ، وغنى المال حين ألهم خديجة مقارضته في تجارتها " [1] .

1- ابن عاشور ، محمد الطاهر : **التحرير والتنوير** ، 30 جزءاً ، تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع ، جـ16 ، ص302 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

مسكن النبي صلى الله عليه وسلم

ولد النبي – صلى الله عليه وسلم – في مكة المكرمة في شعب بني هاشم في عام الفيل في الدار التي صارت تُدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج في نهار يوم الإثنين [1] الثاني عشر من ربيع الأول [2] الموافق عشرين نيسان 571 م [3].

وكانت مكة موطنه الحبيب إلى قلبه، كما جاء عن أبي هريرة قال : وقف النبي صلى الله عليه وسلم على الحزورة [4] فقال : ((وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ)) [5].

فهي خير بقاع الله سبحانه وتعالى ، وقد تحدث القرآن الكريم عن موطنه – صلى الله عليه وسلم – في أكثر من موضع ، وأكد سبحانه أن مكة المكرمة هي البلد الأمين التي ولد فيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال سبحانه : چ ج ج ج ج ج ج ج ج ج چالبلد: ١ – ٢ ، فهذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى ، لينبه على عظمتها .

ويقول سبحانه : چ ٱ ب ب ب ب ب پ پ پ چالتين: ١ – ٣ ، فقد أقسم سبحانه وتعالى بالبلد الأمين لعظم قدرها وإكرامًا لنبيه صلى الله عليه وسلم .

1- عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل عن صوم الاثنين ؟ فقال : ((فيه ولدت وفيه أنزل علي)) . رواه مسلم . انظر : **صحيح مسلم** ، كتاب الصيام ، باب استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس ، رقم الحديث : (1162) ، جـ2 ، ص818 .

2- انظر : الحلبي : **السيرة الحلبية** ، جـ1 ، ص63 – 65 . المباركفوري : **الرحيق المختوم** ، ص54 .

3- انظر : السهيلي : **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام** ، جـ2 ، ص158 .

4- (الحزورة) : على وزن القَسْوَرة موضع بمكة . والحزورة في الأصل بمعنى التل الصغير ، سميت بذلك لأنه كان هناك تل صغير ، وقيل لأن وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد كان ولي أمر البيت بعد جرهم فبنى صرحاً كان هناك وحصل فيها أمة يقال لها حزورة فسميت حزورة مكة بها . [انظر : المباركفوري ، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم : **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** ، 10 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية ، كتاب المناقب ، باب في فضل مكة ، رقم الحديث : 4182 ، جـ 10 ، ص 294].

5- رواه الترمذي وقال : " حديث حسن غريب صحيح " . الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، **الجامع الصحيح**، 10 أجزاء ، حققه عزت عبد القادر عطا ، ط2 ، بيروت : دار الكتب العلمية1996م، كتاب المناقب ، باب في فضل مكة ، رقم الحديث : 4182 ، جـ10، ص 294 . قال الألباني : " اسناده صحيح " . انظر : الألباني ، محمد ناصر الدين : **السلسلة الصحيحة** ، 6 أجزاء، بيروت : دار إحياء التراث العربي، جـ6 ، ص 356.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول القرطبي : " أقسم الله تعالى بجبل دمشق لأنه مأوى عيسى – عليه الصلاة والسلام – وبجبل بيت المقدس لأنه مقام الأنبياء – عليهم السلام – وبمكة لأنها أثر إبراهيم ودار محمد عليهما الصلاة والسلام " [1] .

وقد وعد الله سبحانه وتعالى نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يرده إلى موطنه مكة بعد أن أخرجه قومه منها مكرهاً ، فقال سبحانه : چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ چ القصص: ٨٥ ، روى البخاري عن ابن عباس : (پ پ ڀ) قال : إلى مكة [2] .

أما بيوته – صلى الله عليه وسلم – في المدينة فقد ذكرها القرآن الكريم في سورة الحجرات التي رسمت معالم المجتمع المثالي للمسلمين ، حيث احتوت الآداب والإرشادات والتوجيهات والضوابط التي تجعل البيت المسلم مثاليا طاهرًا ، إنها حجرات الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ، إن دارًا سكنها الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأفضل دار بل وأكرم دار في الوجود .

وسورة الحجرات هذه السورة المباركة التي خلدت هذا المكان المبارك ، حيث أصبحت الحجرات جزءًا من السيرة النبوية ، ولا يتناول الباحث سورة الحجرات وما ورد فيها من سمو التشريع والآداب الاجتماعية ، وإنما يركز على الحجرات حتى يعلم المسلمون شيئاً من سيرة بيوت النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول سبحانه وتعالى : چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ الحجرات:4 . والحجرة : النفعة التي يحجرها المرء لنفسه كي لا يشاركه فيها غيره ، من الحَجْر وهو المنع وجمعت لأن كلاً من أمهات المؤمنين لها حجرة [3] .

1- القرطبي : **الجامع الأحكام القرآن** ، جـ20 ، ص103 .

2- رواه البخاري: **صحيح البخاري** ، كتاب تفسير القرآن ، باب إن الذي فرض عليك القرآن ... الآية ، رقم الحديث: (4773) ، جـ6 ، ص 113 .

3- انظر : القمي ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين : **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، 6 أجزاء ، ضبطه وخرّج أحاديثه الشيخ زكريا عميرات ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1416هـ ، جـ6 ، ص159 . القوجوي ، محمد ابن مصلح الدين مصطفى الحنفي : **حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي** ، 8 أجزاء ، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، جـ7 ، ص638 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكانت بيوته عليه الصلاة والسلام تسعةً بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريـد. وقال الحسن البصري : " كنت أدخل بيوت النبي عليه السلام وأنا غلام مراهق فأنـال السـقف بيدي ، وكانت حجره – عليه السلام – أكسية من شعر مربوطة بخشب عرعر[1] " [2].

وقد تنسب هذه الحجرات أو البيوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قـال تـعالى : چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ چالأحزاب: 53 ، وبيوت النبي – صلى الله عليه وسلم – هي أيضا مقر أهل البيت الذين طهرهم الله تعالى ، فقـــال سـبحانه : چ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک چالأحـــزاب:33.

هذه الحجرات سَكَن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومــأواه . حجـرات أو بيـوت اتصلت تربتها بالسماء حيث تنزل الوحي . وهي إحدى المواقع الطاهرة التي تظهر لنا جوانـب من سيرته – صلى الله عليه وسلم – وتجتلى منه شخـصيته – عليه الصلاة والسلام – ليكون قدوة مثلى للفرد وللبيت المسلم ، بل قدوة للبشرية جمعاء [3].

وقد كانت بيوت النبي – صلى الله عليه وسلم – نموذجا للبيت الإسلامي ، وعلى الرغم من صغر حجمها ، وتواضع بنائها ، فإنها امتلأت بالسعادة والهناء ، وظلـت المثـل الأعلـى لبيوت الصحابة – رضوان الله عليهم – ولكل من أراد أن يقيم لنفسه بيتا من المسلمين بعد ذلك.

قال عطاء : " سمعت سعيد بن المسيب يقول : " والله لوددت أنهم تركوها علـى حالهـا ينشأ ناشئ من أهل المدينة، ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله – صـلى الله عليه سلم – في حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر "[4] .

1- العرعر : شجرة السرو . انظر : الزاوي ، الطاهر أحمد : **ترتيب القاموس المحيط على طريقـة المصـباح المنيـر وأساس البلاغة** ، 4 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1979م ، جـ3 ، ص187 .

2- انظر : الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي : **سبل الرشاد في سيرة خيرة العباد** ، 11 جزءاً ، تحقيق : عادل أحمـد عبدالموجود و علي محمد معوض ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1993م ، جـ3 ، ص348 .

3- انظر : الفايدي ، تنيضب : مـقال بعنوان " بيوت النبي صلى الله عليه وسلم " **جريـدة الـرياض الـيومية** / العـدد 14291 / 10 أغسطس 2007 .

4- الشامي : **سبل الرشاد في سيرة خير العباد** ، جـ3 ، ص349 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وارتبطت بيوت النبي – صلى الله عليه وسلم – بالعبادة والطاعة لله تعالى ، وتمثَّل فيها التواضع والبساطة والزهد في متاع الحياة الدنيا .

وإن كانت حال بيوت النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه تمتلئ بالزهد والبساطة، فلا يعني هذا أن الإسلام يحول بين أن يَنعم الإنسان ببيت رحب جميل ، بل يرى الإسلام أن هذا رزق من الله تعالى للإنسان ونعمة منه وفضل ، فالله تعالى يقــول : چٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چالأعــراف: ٣٢ ، والرســول صلى الله عليه وسلم يقول : ((أربــع مــن السعادة : المرأة الصالحة ، والمســكن الواســع ، والجار الصالح، والمركب الهنيء))[1] ، وعلى الإنسان أن يحسن استغلال هــذا النعــيم ؛ لأنــه ســيُسأل عنه يوم القيامة ، قال تعالى : چہ ھ ھ ھ ھ چالتــكاثــر: 8.

والأسرة المسلمة شأنها شأن غيرها من أسر البشر ، تميل الى أن يكون بيتها من خيــر البيوت سعة وجمالاً ، ومملوءًا بالنعم والخيرات ، قال تعالى : چڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﮮ ﮮ ﮯ ﮯ ﮰ ﮰ چآل عمران: ١٤ .

والأسرة المسلمة تعلم أن السعادة الحقيقية في أن تجعل من بيتها – صغُر أم كبر – جنة عامرة بالإيمان ، هانئة بالقناعة ، ترفرف عليها الطمأنينة والســكينة ، ويتتســم أفرادهــا الأدب الرفيع والسلوك القويم ، وهي في كل أحوالها تدرك ، أن ما هي فيه نعمة مــن نعــم الله التــي تستوجب الشكر ، فشكر النعمة ينميها ويزكيها ويزيدها ، قال سبحانه وتعالى : چڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ چإبراهيم: 7 .

1– ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي : **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبــان** ، 16 جــزءاً ، تحقيــق شعيب الارناؤوط، ط3 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997م ، كتاب النكاح ، باب ذكر الإخبار عن الأشياء التي هي من سعادة المرء في الدنيا ، رقم الحديث 4032 ، جــ 9 ، ص 340 . قال الألباني : "وهــذا ســند صــحيح علــى شــرط الشيخين". انظر : الألباني : **السلسلة الصحيحة** ، رقم الحديث 282 ، جــ1 ، ص 571 .

والأسرة المسلمة لا تتخذ من نعم الله عليها مجالاً للكبر والتعالي علــى الآخــرين، بــل تُظهر فضل الله عليها ونعمه ؛ استجابة لقوله تعالى: چڱ ڱ ڱ ڱ چالضحى: ١١ ، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)) [1] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى الأسرة المسلمة ألا تتشغل بنعيم الدنيا عن طاعة الله تعالى ، وألا يكون بيتها في الدنيا هو همها الأكبر ، الذي يحول بينها وبين العمل لبيتها في الجنة – إن شاء الله تعالى – كحال بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

1– رواه الترمذي وقال "حديث حسن" ، انظر : **الجامع الصحيح** ، كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ " ، رقم الحديث (2973) ، جـ 8 ، ص 86 . قال الألباني: " صحيح " . انظر : الألباني ، محمد ناصر الدين : **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام** ، ط1 ، بيروت : المكتب الإسلامي ، 1405هـ ، رقم الحديث : (75) ، ص 63 .

المبحث الثالث

أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم– مع أسرته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما خُلقه – صلى الله عليه وسلم – مع أهل بيته ، فإن الله تعالى هو الذي أدّبه فأحسن تأديبه ، فهو أحسن الناس خلقاً ، وأمثلهم طريقةً ، وأصدقهم خبراً ، وأعدلهم حكماً ، وأطهرهم سريرةً ، وأنقاهم سيرةً ، وأفضلهم سجايا ، وأجودهم يداً ، وأسمحهم خاطراً ، وأصفاهم صدراً، وأتقاهم لربه ، وأوصلهم رحماً ، وأزكاهم منبتاً ، وأشجعهم قلباً ، وأثبتهم جناناً ، وأمضاهم حجةً ، وخيرهم نفساً ونسباً وخلقاً وديناً . ويكفيه شرفاً وقدراً أن الله تعالى قال عنه : چگ گ گ ں چالقلم: 4. ويقول عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا)) [1]، فسبحان مَن اجتباه واصطفاه وتولاَّه وحماه ورعاه وكفاه ، ومن كل بلاء حسن أبلاه [2] .

وكان – صلى الله عليه وسلم – حسن المعاملة وخاصة مع أزواجه ، ممتثلاً أمر الله عز وجل : چۆ ۈې چالنساء: ١٩. فكان يقول : ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)) [3] .

" كان صلى الله عليه وسلم يحمل هموم الأمة ، وهموم الدعوة ، وهموم الدين ، ومع ذلك لو نظرنا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في بيته لتعجبنا أشد العجب " [4].

وكان صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهل بيته خير قدوة لنا ، وكان عليه الصلاة والسلام خير الناس مع أهله ، ولا غرابة فهو القائل : ((خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي)) [5] . والنماذج على ذلك من سيرته كثيرة ، أذكر فيما يلي طرفاً منها :

1- رواه البخاري . انظر: **صحيح البخاري** ، كتاب الإيمان ، بَاب قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَنَّ الْمَعْرِفَةَ فِعْلُ الْقَلْبِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ } ، رقم الحديث 20 ، جـ1 ، ص13 .

2- انظر: القرني ، عائض بن عبد الله : **محمد – صلى الله عليه وسلم – كأنك تراه** ، ط1 ، بيروت : دار ابن حزم ، 2002 م ، ص24 .

3- رواه البخاري . انظر: **صحيح البخاري** ، كتاب النكاح ، باب الوصاية بالنساء، رقم الحديث 5185 ، جـ7، ص26.

4- حسان ، محمد : **الحقوق الإسلامية** ، ط1 ، المنصورة : دار فياض ، 2006م ، ص 651 .

5- رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب صحيح . انظر : **الجامع الصحيح** ، كتاب المناقب ، باب في فضل أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – ، حديث رقم 3895 ، جـ 10 ، ص269 . قال الألباني : " صحيح " . انظر : الألباني : **السلسلة الصحيحة** ، رقم الحديث : 285 ، جـ1 ، ص 575 .

في طريقه لإحدى الغزوات ، يضرب القرعة بين زوجاته ، فعن عائشة رضي الله عنها: ((أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ قَالَتْ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ : هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ)) [1] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلق وأدب وتربية ، بل كانت إذا غضبت عائشة – رضي الله عنها – من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا تجد غيره لتحتمي به من أبي بكر رضي الله عنه .

" وكانت سيرته– صلى الله عليه وسلم – مع أزواجه ، حُسن المعاشرة ، وحُسن الخلق لأزواجه. وكان عائشة إذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه [2]، وكانت إذا شربت من الإناء أخـذه ، فوضـع فمه في موضع فمها وشرب [3] ، وكان يتكئ في حجرها ، ويقرأ القرآن ورأسه فـي حجرها[4] ...، وكان من لطفه وحسن خلقه مع أهله أنه يمكنها من اللعب ، ويريها الحبشة وهم يلعبون في مسجده ، وهـي متكئة على منكبيه تنظر [5] " [6] .

1– رواه أبو داوود ، انظر : أبو داوود ، سـليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني : **سـنن أبـي داوود** ، 4 أجزاء ، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1996م ، كتاب الجهاد ، باب السبق على الرجـل ، رقـم الحـديث 2214، جـ3، ص48 . قال الألباني : " وهذا سند صحيح على شرط الشيخين " . انظر : **السلسلة الصـحيحة** ، رقـم الحـديث: 131 ، جـ1 ، ص254 .

2– عن جابر بن عبدالله قال : " وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم رجلا سهلا إذا هويت الشيء تابعها عليـه ". رواه مسلم . انظر : **صحيح مسلم** ، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران جواز إدخـال الحج على العمرة ومتى يحل القارن من نسكه ، رقم الحديث : (1213) ، جـ2 ، ص881 .

3– عن المقدام بن شريح عن أبيه قال : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : " كان رسول الله صلى الله عليـه و سـلم يناولني الإناء فأشرب منه وأنا حائض ثم أعطيه فيتحرى موضع فمي فيضعه على فيه" . رواه النسائي . انظر : النسائي ، أحمد بن شعيب : **سنن النسائي الكبرى** ، 6 أجزاء ، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1991م ، تحقيق : د.عبد الغفـار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن ، كتاب الطهارة ، باب مواكلة الحائض والشرب من سؤرها والانتفاع بفضلها ، رقم الحديث : (274) ، جـ1، ص125 . قال الألباني : " صحيح " . انظر : الألباني ، محمد ناصر الدين : **صحيح وضعيف سنن النسائي** ، 12 جزءاً ، مصر : مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة ، جـ1، ص425 .

4– عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكئ في حجري وأنـا حـائض فيقـرأ القرآن " . رواه مسلم . انظر : **صحيح مسلم** ، كتاب الحيض ، باب جواز غسل رأس زوجها وترجيله طهـارة سـؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه ، رقم الحديث : (301) ، جـ1 ، ص246 .

5– عن عروة بن الزبير أن عائشة قالت : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم" . رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب الصلاة ، باب أصحاب الحراب في المسجد ، رقم الحديث : (454) ، جـ1 ، ص98 .

6– ابن قيم الجوزية : **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، جـ1 ، ص146 .

وكان لِـبَناته – صلى الله عليه وسلم – حظٌ وافرٌ من معاملته الطيبة . وقد كان صـلى الله عليه وسلم يوجه المؤمنين إلى حسن المعاملة وخاصة مع الأهل ، فيقول : ((خَيْرُكُمْ خَيْـرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)) [1] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيتمثل فيه هذا الحديث أعظم تمثيل ، فإذا هو رحيم ودود ، يدخل عليهم ضحاكاً بساماً، يداعبهم بأرق العبارات ويلاطفهم بأحسن التعامل ، يشاركهم الخدمة ويجاذبهم أحلى الحديث ويبادلهم أجمل السمر بلا فظاظة ولا غلظة ولا لوم ولا تعنيف [2] .

وكانت معاملته – صلى الله عليه وسلم – مع بناته قائمة على العطف والرحمة والإحسان والإكرام والحمية والصبر والأناة ، لكونه – صلى الله عليه وسلم – هو الرَّاعي والمربي والمعلم لأمّته ، فهو بحاجة إلى تلك الصفات التي تتأتى من تربية البنات ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنَّ أبُوّة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لبنات أربع ، لكونه الأسوة الصالحة لأُمّته [3] .

ولِكبير رعاية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لابنته فاطمة – رضي الله عنها – أنه قال: ((فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ [4] مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي)) [5] .

بهذه المعاملة الحانية كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يرعى أهله ليكون الأسوة الحسنة لأمَّته ؛ فصلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ما دامت السماوات والأرض .

1- سبق تخريجه ص28 .

2- انظر: القرني : **محمد – صلى الله عليه وسلم – كأنك تراه** ، ص182 . حوّى ، سعيد : **المستخلص في تزكية الأنفس** ، ط11 ، القاهرة : دار السلام ، 2005 م ، ص 364 . الغزالي ، محمد : **خلق المسلم** ، ط1 ، دمشق : دار القلم، 1998 ، ص17 .

3- انظر : العك ، خالد عبد الرحمن : **شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنّة** ، ط3 ، بيروت : دار المعرفة ، 2000م ، ص 78 .

4- بَضعة : قطعة لحم . [انظر : ابن حجر : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، جـ7 ، ص132] .

5- رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب المناقب ، باب مَنَاقِبِ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْقَبَةِ فَاطِمَةَ ، رقم الحديث : (3714) ، جـ5 ، ص 21.

الفصل الثالث

الأسرة النبوية في مواجهة الشبهات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفـــيه مبحثـــان :

تمـــهيد : الشبهات وأثرها على الأسرة

المبحث الأول : حـــادثة الإفـــك وأثرها على الأسرة النبوية

المطلب الأول : قصة الإفك وشدة البلاء

المطلب الثاني : أثر حادثة الأفك على البيت النبوي

المطلب الثالث : أثر حادثة الأفك على البيوت المؤمنة

المبحث الثاني : زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وإبطال التبني

المطلب الأول : تبني النبي – صلى الله عليه وسلم – زيدَ بن حارثَة وإبطال التبني .

المطلب الثاني : الشبهات التي أُثيرت حول زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من زينـــب بنت جحش رضي الله عنها .

تمهيد : الشبهات وأثرها على الأسرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول سبحانه وتعالى : ﭽ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ﭼ التوبة: ١٠٩ .

عندما تُبنى الأسرة على الأُسس التي يضعها الإسلام تصبح متينة متماسكة ، يستحيل تفكيكها . وعندما تكون الأسرة متينة متماسكة إلى هذا الحد ، ينمو الأطفال بفضل الوجدان الديني بمحاسن الأخلاق وأفضلها ، وعندها يكون المجتمع عنيداً في وجه دعاة التحرر والسفور، لأنه لا يكون مجتمعاً مائعاً ، لذلك فإن أول شيء يعمد إليه أعداء الفضيلة هو القضاء على تماسك الأسرة حتى يسهل بعد ذلك استعباد أفرادها .

تقول الماسونية العالمية : " بغية التفرقة بين الفرد وأسرته عليكم أن تنزعوا الأخلاق من أسسها ؛ لأن النفوس تميل إلى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة لأنها تفضل الثرثرة في المقاهي على القيام بتبعات الأسرة " [1].

وتقول الصهيونية العالمية : " إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا حينما نضع خططنا أن لا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاق ، ومن الناس منْ أضلتهم الخمرة وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات والمجون المبكر ، هذه الوسائل التي أغراهم بها وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا ونساؤنا في أماكن لهوهم، فشعارنا : تربية الحقد على الأسرة ، بغية تدميرها "[2] .

فكل النظريات الغربية من أهل دعاة التحرر والسفور تدعو إلى إحراق الأسرة وذر رمادها في البحر . فهم يريدونها معول هدم لا أداة بناء ، فيسعون جاهدين إلى تمزيقها وإشاعة الفرقة بين أفرادها ، وإخراج المرأة عن طهارتها وعفتها .

إنهم يعطون صورة مشوهة عن الحياة داخل الأسرة الإسلامية ، فوجدوا أن الأسرة وما فيها من تقاليد إسلامية عريقة ، وما بُنيت عليه من احتشام وحياء تحول دون الانحلال والاغتراب ، وتجعل حياة المسلم داخل أسرته أمراً غامضاً بالنسبة إليهم ، وحين عجزوا عن معرفة حقيقة واقع الأسرة الإسلامية لم يجدوا في نهاية الأمر إلا أن يكيدوا بها ، فأعلنوا

1- العويد ، محمد رشيد : **من أجل تحرير حقيقي للمرأة** ، ط1 ، بيروت : دار ابن حزم ، 1993 م ، ص23 .

2- نويهض ، عجاج : **بروتوكولات حكماء صهيون** ، ط4 ، بيروت : دار الاستقلال للدراسات والنشر ، 1996م ، ص 182 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حربهم على القيم والمبادئ ، فهم يرون أن خضوع المرأة لزوجها يجعلها أسيرة رهينة بقرارته، فهي لا تستطيع أخذ القرار ، وليس لها كلمة أو رأي ، مما يظهر التباين الواضح بين الزوجين[1] .

كما إنهم يصفون المسلمين بأنهم أناس يتسابقون وراء غريزتهم كالبهائم التي لا تتحكم في شهواتها . وهذا ما أشار إليه ريمون شارل [2] بقوله : " إن المرأة التي تتذمر من غزارة زوجها الجنسية بإمكانها أن تستنجد بالقاضي الذي سيتولى ضبط عدد المواقعات ، ويمكن للمرأة أن تطالب بالطلاق إن تجاوز زوجها ذلك الحد " [3] .

ومن المعروف أن بعض بلاد المسلمين فيها أناس من أدناس الماسونية يدعون إلى سفور المرأة وتبرجها ، ويدعون إلى المسارح والمراقص والسينما والخمر والفاحشة ، ويدعون كذلك إلى اختلاط المرأة بالرجال الأجانب ومزاحمتهم في المكتب والمتجر والمصنع. هم يريدون أن تفقد المرأة عفتها وتنسلخ من تعاليم ربها سبحانه ، لتكون هادمة للأجيال لا مربية لها [4] .

وقد أثار المستشرقون كثيراً من الشبهات حول المرأة المسلمة ، ليؤلبوها على الرجل، فإنهم يرمون التشريع الإسلامي بالظلم عندما أعطى الرجل أموراً لم تحظ بها المرأة ومنها : حق القوامة ، حق تأديب الزوجة ، الطلاق ، تعدد الزوجات ، شهادته أكمل و إرثه أكثر . فهم جهلوا مقصد الشرع ، لأنهم نظروا إليه نظرة قاصرة تتناسب وتحقيق رغباتهم في زعزعة الثقة في الأسر المسلمة ، وتأليب المرأة على الإسلام وآدابه وأحكامه بحجة أنه لم يُنصف المرأة ولم يرع إنسانيتها ولم يضمن لها كامل حقوقها ، فهم يُظهرون أنهم يتباكون على حالها، ولكنهم يسعون لخنقها [5] .

1- انظر: مراد ، يحيى : **افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها** ، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004م، ص514.

2- ريمون شارل : مفكر فرنسي ولد عام 1924 م ، يُعدّ قطباً من أقطاب المختصين في معرفة أسرار الشريعة الإسلامية، وطوايا الفقه ، وخبايا المجتمعات العربية . كتب بلا انقطاع مدة 30 سنة ، ونُصِّب قاضياً بين الناس ، ومستشاراً للحكومة الفرنسية . له عدة كتب ومقالات ، منها : كتابه " الروح الإسلامية " ؛ الذي هاجم فيه النظام الإجتماعي في الإسلام . [انظر : المصدر السابق ، ص 507] .

3- انظر: المصدر السابق ، ص415 .

4- انظر : البليهي ، صالح بن إبراهيم : **يا فتاة الإسلام إقرئي حتى لا تخدعي** ، ط3 ، القاهرة : دار المسلم للنشر والتوزيع، 1996م ، ص13 .

5- انظر : البوطي ، محمد سعيد رمضان : **المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني** ، ط1 ، دمشق: دار الفكر ، 1996 م، ص13 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهم لا يهتمون بسعادة المرأة ، بل إنهم يحيكون المؤامرات الي تهدف إلى تدميرها عبر تدمير أسرتها ، لتقوم على الظلم والاستبداد لا على السكن والمودة التي أرادها الله سبحانه لعباده حين قال: چڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ چالروم: ٢١ .

وسأُحاول في الصفحات القادمة إلقاء الضوء على الشبهات التي أثيرت حول الأسرة النبوية في محاولة للتشكيك في منبع هذا الدين وهو بيت النبوة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

حـــادثة الإفـــك وأثرها على الأسرة النبوية

المطلب الأول : قصة الإفك وشدة البلاء

أولاً : الصدّيقة وشدة بلاء الإفك

عقب غزوة بني المصطلق [1] الممحصة للإيمان وقعت أخطر حادثة ، أدخلت على كـــل مسلم ومسلمة من البلاء ما لم يدخل عليه مثله في محن الشدائد والأزمـــات التـــي ابتلـــي بهـــا المسلمون .

إنها حادثة الإفك على السيدة عائشة رضي الله عنها . فقد سكت بعض المسلمين ، فلـــم يدرِ من شدة الدهشة والذهول ما يقول ، وأفصح بعضهم بعظيمة العظائم، وقبيحة القبائح ، ولكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان إمام الصابرين ، عالج الأمر بحكمة هادئة ، فقـــد كـــان همه أن يقي المجتمع المسلم من عواصف الفتن، وهزات المحن ، وقواصم المكائد النفاقية حتـــى أنزل الله تعال براءة السيدة عائشة رضي الله عنها.

كان هذا الحدث الخطير ، والحادثة الأليمة لأم المؤمنين وأبويها – رضي الله عنهم – ما أقض مضاجعهم ، ونشف الدمع في مآقيهم ، وخصوصا عائشة رضي الله عنها ، حتى مـــنّ الله عليها وعلى المؤمنين ، فكشف الغمة ، وفرج الكربة ، وأنزل وحيه بالقرآن المجيد على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم [2] .

1– هذه الغزوة وقعت في شعبان من سنة ست للهجرة ، وتسمى أيضًا (غزوة المريسيع) ؛ لأن بني المصطلق كانوا بطنًا من بني خزاعة ، يقيمون على ماء يقال له المريسيع من ناحية قديد ، إلى ساحل البحر الأحمر بين جدة ورابغ . انظـــر : ابن هشام ، أبي محمد بن عبد الملك : **السيرة النبوية لابن هشام** ، 4 أجزاء ، بيروت : دار إحياء التراث ، جـــ3 ، ص 309 . الكازروني ، سعيد الدين محمد بن مسعود : **المنتقى من سيرة النبي المصطفى** ، 4 أجزاء ، ط1 ، فلسطين : دار الهدى للطباعة والنشر ، 2001م ، جـــ3 ، ص699 .

2– انظر : جمعة ، أحمد خليل : **نساء أهل البيت في ضوء القرآن والسنة** ، دمشق : اليمامة للطباعة والنشر ، 1999م ، ص128 – 129.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصدّيقة وبداية الموقف :

تصوّر لنا أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بداية الموقف الذي ألمّ بالبيت النبويّ الطاهر المطهر ، فتذكر في حديثها الذي يرويه الإمام البخاري في الصحيح : " فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَرَى مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ : كَيْفَ تِيكُمْ : لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ [1] ".

وتتابع أمّ المؤمنين عائشة راوية تفاصيل الحادثة فتقول : " أَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا [2] . فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا : بِئْسَ مَا قُلْتِ ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا ؟ فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ [3] ، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَسَلَّمَ . فَقَالَ: كَيْفَ تِيكُمْ؟ فَقُلْتُ :ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ . قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا ، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ . فَقُلْتُ لِأُمِّي مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ . فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا . فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا . قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ .... فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ . قَالَتْ : فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً . وَقُلْتُ لِأَبِي :أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ لِأُمِّي :أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– فِيمَا قَالَ. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...)[4].

1– الناقِه : الذي أفاق من مرضه ولم تتكامل صحته . [انظر : ابن حجر : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، جـ10، ص595] .

2– مرطها : إزارها . [انظر : المصدر السابق ، جـ10 ، ص596].

3– هنتاه : حَرْف نِدَاء لِلْبَعِيدِ وَقَدْ يُسْتَعْمَل لِلْقَرِيبِ حَيْثُ يَنْزِل مَنْزِلَة الْبَعِيد. [انظر: المصدر السابق ، جـ10 ، ص596].

4– رواه البخاري ، انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب التفسير ، باب " لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات .. " ، رقم الحديث : (4750) ، جـ6 ، ص101 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شهادة البراءة وبداية الفرج :

حزّ الحزن في نفس الصديقة عائشة – رضي الله عنها – خطوطًا ، ولكنها بعد إذ رأت أن أبويها عجزا عن الكلام أمام الحضرة النبوية ، ولم يتكلم أيّ واحد منهما بكلمة ، وهي الأثيرة عندهما ، هنالك فوّضت أمرها للعليم الخبير ، ولنستمع الآن إلى بقية الحديث الشائق ، ونحن نرقب الفرج القريب .

قالت عائشة – رضي الله عنها – تروي حديث البراءة : ((وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنْ الْقُرْآنِ ، فَقُلْتُ : إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ ، وَصَدَّقْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک چ يوسف : 18 . ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا ، وَلأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي [1] وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ

1– من التعليقات اللطيفة على كلام السيدة الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها – (ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى ، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رؤيا يبرئني الله تعالى بها) ما أورده ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – في كتابه اللطيف " جلاء الأفهام " حيث أجاد وأصاب ، ونبه المغرورين كي لا ينزلقوا في مزالق الشيطان والغرور ، فقال : (وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها ، فهذه صديقة الأمة ، وأم المؤمنين ، وحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهي تعلم أنها بريئة مظلومة ، وأنّ قاذفيها ظالمون لها ، مفترون عليها ، قد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا كان احتقارها لنفسها ، وتصغيرها لشأنها ، فما ظنك بمن صام يوما أو يومين أو شهراً أو شهرين ، وقام ليلة أو ليلتين، وظهر عليه شيء من الأحوال ، ولاحظوا أنفسهم بعين استحقاق الكرامات والمكاشفات والمخاطبات والمنازلات ، وإجابة الدعوات ، وأنهم ممن يتبرك بلقائهم ، ويغتنم صالح دعائهم ، أنهم يجب على الناس احترامهم وتعظيمهم ، وتعزيرهم وتوقيرهم ، فيتمسح بأثوابهم ، ويقبّل ثرى أعتابهم، وأنهم من الله بالمكانة التي ينتقم لهم لأجلها ممن تنقصهم في الحال ، وأن يؤخذ ممن أساء الأدب عليهم من غير إمهال ، وان الإساءة عليهم ذنب لا يكفّره شيء إلا رضاهم ، ولو كان من وراء كفاية اهان ، ولكن من وراء تخلف ، وهذه الحماقات والرعونات نتائج الجهل الصميم ، والعقل غير المستقيم ، فإن ذلك إنما يصدر من جاهل معجب بنفسه ، غافل عن جرمه وذنوبه ، مغتر بإمهال الله له عن أخذه بما هو في من الكبر والإزدراء على مَنْ لعله عند الله خير منه . نسأل الله العافية في الدنيا والأخرة ، وينبغي للعبد أن يستعيذ بالله أن يكون عند نفسه عظيماً ، وهو عند الله حقير) . [ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد : **جلاء الأفهام**، القاهرة : دار الحديث ، 2004م ، ص 133 – 134].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْوَحْيُ ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ [1] ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ [2] مِنْ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ . فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ .فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : چ ٱ ب ب ب ب پ پ چ الآيات [3] .

وهكذا أنزل الله عزّ وجل فرجه ، وانزاح الهمّ عن قلب الأسرة النبوية ، وكل بيوت المؤمنين الذين أهمهم هذا الأمر الذي ينضح بخبث المنافقين وفجورهم .

1- البرحاء : شِدَّة الْحُمَّى ، وقِيلَ شِدَّة الْكَرْب ، وقِيلَ شِدَّة الْحَرّ ، وَمِنْهُ بَرِحَ بِي الْهَمّ إِذَا بَلَغَ مِنِّي غَايَته . [انظر : ابن حجر : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، جـ8 ، ص610] .

2- الجمان : اللُّؤْلُؤ . [انظر : المصدر السابق ، جـ8 ، ص611] .

3- تكملة الحديث الذي سبق تخريجه ص 35.

ثانياً : معنى الإفك والحكمة من التعبير بهذا اللفظ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معنى الإفـــك :

الإفك : كل مصروف عن وجهه الذى يحق أن يكون عليه [1] .

قال ابن منظور : " الإفك هو أسوأ الكذب . وأَفَك الناس : كـذبهم وحـدَّثهم بالباطـل . والإفك : الإثم . ورجل أفَّاك : كذاب " [2] .

وقد سمى الله تعالى في كتابه الحكيم الافتراء على السيدة عائشة – رضـي الله عنهـا– إفكاً ، قال تعالى : چ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چالنور: ١١ ، وهو أبلـغ الكذب وأرذل الافتراء ، وألأم الاختلاق ، كما سماه جل شأنه بهتاناً ، وهو يعاتب المؤمنين في سكوتهم لحظة سماعهم بدافع إيمانهم بطهارة ساحة النبي – صلى الله عليه وسـلم – أن تكـون في عصمته من تحوم حولها أدنى الشبهات ، وبدافع إيمانهم بطهارة ذيل من اصطفاها الله تعالى زوجًا لخير الخلق خاتم النبيين وسيد المرسلين ، فكانت بهذا الاصطفاء أمًّا للمؤمنين وسيدة نساء العالمين فضلاً وشرفاً وطهراً وعلماً وأدباً وخلقـاً، بـقوله تعالى : چ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ چالنور: 16 ، والبهتان هو البلاء لا يشعر به الإنسان حتى يفجأه بوقوعه [3] .

بلاغة الآية في التعبير:

وفي أسلوب هذه الآية الكريمة ضرب من البلاغة والمبالغة في تنفيـر المـؤمنين عـن سكوتهم عند سماع ما يسيء ويشين سُمعة أي مـؤمن ومؤمنـة ، حيـث جعـل الله المـؤمنين والمؤمنات شيئًا واحداً بإيمانهم ، وجعلهم كلهم نفسًا واحدة ، يتوحد بها النفع والضرر ، والخيـر والشر والإحسان والإساءة .

ومن أحسن ما قيل في بيان بلاغة الآيات التي تحدثت عن الإفك ، قول الزمخشـري: "إن قلت : هلاّ قيل : لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم؟ ولم عدل عن الخطـاب إلـى الغيبة؟ وعن الضمير إلى الظاهر؟ قلت : ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات ، وليصـرح بلفـظ الإيمان ، دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدّق مؤمن عـلى أخيه ولا مؤمنة عـلى

1- الراغب : **غريب مفردات القرآن** ، ص 19 .

2- ابن منظور : **لسان العرب** ، جـ10، ص390 .

3- المصدر السابق ، جـ1 ، ص 38 .

أختها قول عائب ولا طاعن . وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سـمع قالـة فـي أخيـه ، أن يبني الأمر فيها على الظنّ لا على الشك . وأن يقول بملء فيه بناء علـى ظـنّه بالـمؤمن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخير : { هذا إِفْكٌ مُّبِينٌ } هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته ، كما يقول المستيقن المطلــع علـــى حقيقة الحال " [1] .

وقد توعد الله عزّ وجل الذين أشاعوا الإفك على السيدة الطاهرة عائشـــة – رضــي الله عنها – بالعذاب العظيم في الآخرة ، بل جعلهم ملعونين في الدنيــا والآخرة ، وبــأن ألســنتهم وأيديهم وأرجلهم ستشهد عليهم بما اقترفوا وأشاعوا من كلام الـــوزر والــزور علـــى أطهــر الطاهرات عائشة الصديقة بنت الصــديق رضي الله عنهما . يقــول ســبحانه وتعــالى : چگ ڳ
ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ
ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چالنور23 - 25.

قال الزمخشري : " ولو فليت القرآن كله وفــتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله علــيها ، ولا أنزل من الآيات القــوارع ، المشحونة بالوعيد الشديد ، والعتاب البليغ ، والزجر العــنيف ، واستعظام ما ركب من ذلــك ، واستفظاع ما أقدم عليه ، ما أنزل فيه على طرق مختلــفة ، وأساليب مفتنـــة . كل واحد منهــا كاف في بابه ، ولو لم ينزل إلاّ هذه الثلاث لكفى بها ، حيث جعل القَذَفَة ملعونين فـــي الــدارين جميعاً ، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بمـــا أفكوا وبهتوا ، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هـــم أهله ، حتى يعلموا عند ذلك { أَنَّ الله هُوَ الحق المبين } فأوجز في ذلك وأشبع ، وفــصل وأجــمل ، وأكد وكرّر ، وجاء بما لــم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلاّ ما هو دونـــه في الفظاعة، وما ذاك إلا لأمر " [2].

1- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد : **تفســير الكشــاف** ، تحقيــق : عبــدالرزاق المهــدي ، 4 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية، 1995 ، جــ3 ، ص 213 .

2- المصدر السابق، جــ3 ، ص217 .

الحكمة من التعبير بكلمة (الإفك) :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وصف الله تعالى ذلك الكذب بكونه إفكًا الذي هو أسوأ الكذب ، لكون المعروف من حال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خلاف ذلك من وجوه [1] :

الأول : أن كونها زوج المعصوم – صلى الله عليه وسلم – يمنع من ذلك ؛ لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفر عنهم ، وكون زوجة الإنسان مسافحة من أعظم المنفرات .

فإن قيل كيف جاز أن تكون امرأة الرسول كافرة كامرأة لوط وامرأة نوح – عليهما الصلاة والسلام – [2] ولم يجز أن تكون فاجرة ؟ وأيضًا فلو لم يجز لكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – أعرف الناس بامتناعه ولو عرف ذلك لما سأل عائشة – رضي الله عنها – عن تلك الواقعة ؟

فالجواب عن الأول : أن الكفر ليس من المنفرات بخلاف الفجور فإنه من المنفرات .

والجواب عن الثاني : أنه عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يكون يضيق قلبه من أقوال الكفار مع علمه بفساد ذلك ، كما قال تعالى : ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼالحجر: 97 فهذا من ذاك الباب .

الثاني : أن المعروف من عائشة – رضي الله عنها – قبل تلك الواقعة إنما هو الصون والبعد عن مقدمات الفجور ، ومن كان كذلك كان اللائق إحسان الظن به .

الثالث : أن القاذفين كانوا من المنافقين وأتباعهم ، وكلام المفتري ضربٌ من الهذيان .

1– ابن عادل ، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي : **تفسير اللباب في علوم الكتاب** ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، عشرون جزءاً ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1998 م ، جـ14 ، ص318 .

2– نجد ذلك في قوله تعالى : ﭽﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼالتحريم : 10 .

ثالثاً : دور المنافقين في الحادثة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان زعيم المرجفين وكبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول هو من اختلق حادثة التقول بالكذب والباطل على أطهر الطاهرات الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما ، حبيبة الحبيب سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، أم المؤمنين عائشة –رضوان الله عليها –وعلى أبويها . يقول سبحانه وتعالى : چ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ النور: 11 ، فقد كان الذي تولى كبر هذا الإفك والبهتان وأشاعه ، هو الخبيث الفاجر ، رأس النفاق ، وزعيم المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول [1] قبّحه الله وأخزاه – وجاراه في ذلك من استزلهم الشيطان وسوّل لهم، وأملى لهم ، فاستحوذ على مكامن الإيمان من أنفسهم فغطاها بظلام ضلالاته ، وكادت تكون فتنة قاصمة لظهر المجتمع المسلم لولا فضل الله ورحمته .

" أولئك هم المنافقون والذين في قلوبهم مرض ممن لم تخالط بشاشة الإيمان قلوبهم ، وهم الذين كانوا يسمعون ولا ينكرون لضعف ثقتهم في أنفسهم ولضعف إيمانهم ، وهم الذين قال الله فيهم : چ ي ٻ ٻ □ □ □ □ چ التوبة: ٤٧ " [2] .

ويتلخص دور المنافقين في الحادثة بالآتي :

أولاً: هم الذين اصطنعوا الإفك وأشاعوه في المجتمع المؤمن النقي من الرذائل ، الطاهر من الفجور والكذب. وهم الذين قلبوا الأمور، وظنوا أن لا يكشف الله صنيعهم ، ويبطل مكرهم، ويخزيهم بنفاقهم. هم الذين أخبر عنهم القرآن، فقال سبحانه چ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ النور: 11 .

قال صاحب تفسير (اللباب في علوم الكتاب) : " إن القاذفين كانوا من المنافقين وأتباعهم ، وكلام المفتري ضرب من الهذيان " [3] .

1- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا چ ڤ ڤ چ قَالَتْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ. رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى چ ڤ ڤ چ ، رقم الحديث : (4749) ، جـ6 ، ص101. وهناك قول آخر : أن الذي تولى كبره هو حسان بن ثابت رضي الله عنه . انظر : الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، 24 جزءاً ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 2000م ، جـ19 ، ص117 .

2- عرجون ، محمد صادق : **محمد رسول الله** ، 4 أجزاء ، دمشق : دار القلم ، 1995م ، جـ4 ، ص 223 .

3- ابن عادل : **اللباب في علوم الكتاب** ، جـ14 ، ص318 .

وقد بين النبي – صلى الله عليه وسلم – أن هؤلاء المنافقين بقيادة زعيمهم – رأس النفاق – عبد الله بن أبيّ بن سلول هم الذين آذوه كما جاء في حديث الإفك السابق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيـا : هم الذين أحبوا أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وهم الذين تعدوا كل القيم والسلوك وتجرأوا على رمي البيت النبوي الكريم بأبشع المنفرات ، ليزعزعوا ثقة المجتمع المسلم بقيادته بعد أن فشلوا في محاربة هذه القيادة عسكريًا ، وهذا ديدنهم في كل زمان وُجِدوا فيه. يقول سبحانه وهو يكشف للمؤمنين خبث المنافقين وبشاعة افترائهم : چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ النور: 19 .

وما أجمل كلام سيد قطب عندما يقول : " والذين يرمون المحصنات وبخاصة أولئك الذين تجرأوا على رمي بيت النبوة الكريم إنما يعملون على زعزعة ثقة الجماعة المؤمنة بالخير والعفة والنظافة؛ وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة ، وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها . بذلك تشيع الفاحشة في النفوس ، لتشيع بعد ذلك في الواقع . من أجل هذا وصف الذين يرمون المحصنات بأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة . وذلك جانب من منهج التربية ، وإجراء من إجراءات الوقاية " [(1)] .

ثالثا : هم الذين أدخلوا الهم على الأسرة النبوية ، وآلموا المؤمنين وبخاصة صهر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبو بكر – رضي الله عنه – بما أشاعوه من الكذب على الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها ، فقد عاش البيت النبوي آلامه وأحزانه شهرًا كاملاً بسبب هؤلاء الذين تركوا الحق عن قصد ، وأعرضوا عن النور عن عمد ، فكان جزاؤهم زيادة الردى ومضاعفة العقوبة .

فهؤلاء يريدون أن يكون المجتمع المسلم مريضًا مثلهم تماماً ، لأن النفاق مرض أخطر من مرض الأجساد . مرض فتاك ينخر في القلب ، فيفسد على النفس سلامتها ، وصحتها وتصورها. مرض لا طبيب له ، ولا دواء ، ولا حيلة فيه . مرض أعراضه الإعراض عن الله ، والتكذيب بكتابه ، والاستهزاء برسوله ، والخديعة لأوليائه ، والحرب لدينه [(2)] .

1- قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ 4 ، ص2503

2- انظر: القرني ، عائض بن عبد الله : **بهجة التفاسير** ، ط1 ، بيروت : دار ابن حزم ، 2004 م ، ص36- 37 .

المطلب الثاني : أثر حادثة الإفك على الأسرة النبوية

أولاً : الصدِّيقة ووقفة تأمل مع الصبر :

www.manaraa.com

لقد آذى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما بلغه عن عائشة رضي الله عنها ؛ وقد كانت وأباها أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو لا يعلم عن زوجه إلا خيراً ، ولكن ما بال الناس يتقولون عليها ؟

" لقد لبث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تحت وطأة بلاء هذه المحنة القاسية صابراً صبراً لم يُعرف في تاريخ النوازل والبلايا والخطوب لأحد من قبله ، ولا أحد من بعده ، حتى نزلت آيات براءة عائشة – رضي الله عنها – بعد سبعٍ وثلاثين ليلة من بداية المحنة ، فقد بلغه – صلى الله عليه وسلم – حديث الإفك عند وصوله إلى المدينة ، بعد ظفره ببني المصطلق ، تحدّث به أهل النفاق ومرضى القلوب ، ولاكته ألسنتهم وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون ، يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم " [1] .

ولكن الوحي حسم كل ذلك بشهادة الطهر والبراءة لعائشة رضي الله عنها ، وأنزل الله عز وجل قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة في شأن قصة الإفك وشأن المتكلمين فيه بالباطل والكذب وتبرئة الصدّيقة عائشة – رضي الله عنها – والثناء عليها ، وذكر ما أعده الله لها من عظيم الثواب في الآخرة ، ونقاء السيرة في الدنيا ، وعلو درجتها في المجتمع المسلم ، أينما كانت أجياله وأوطانه .

قال الزمخشري : " ومعنى كونه خيراً لهم : أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم؛ لأنه كان بلاءً مبيناً ومحنة ظاهرة ، نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسلية له ، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها ، وتطهير لأهل البيت ، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه ، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة ، وفوائد دينية ، وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها " [2] .

1- عرجون: **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، جـ4 ، ص228.

2- الزمخشري : **الكشاف** ، جـ3 ، ص215 .

يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى – في براءة السيدة عائشة – رضي الله عنها – وكرامتها: "ومن خصائصها أنّ الله سبحانه برّأها مما رماها به أهل الإفك ، وأنزل في عذرها وبراءتها وحياً يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة ، وشهد لها بأنها من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطيبات ، وواعدها المغفرة والرزق الكريم ، وأخبر سبحانه أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها ، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ، ولا خافضاً من شأنها ، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها ، وأعظم شأنها ، وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء ، فيالها من منقبة ما أجلها " [1] .

1- ابن القيم : **جلاء الأفهام** ، ص 133 .

ثانياً : طـــهر بيت النبوة

بيَّن الله عز وجل طهارة بيت نبيه – صلى الله عليه وسلم – في كثير من الآيات التـــي تحدثت عن قصة الإفك على النحو الآتي :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- النبي – صلى الله عليه وسلم – طيب لا يستحق إلا الطيب :

يقول سبحانه تعـــالى : چۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۆ ۈ ى ې ې □□ □ □ □ □ چ النور: 26 .

إنّ أطيب وأزكى ما خلق الله عز وجل هو رسوله محمد صلى الله عليه وســلم ، فهــو صاحب الشرف في الدنيا والآخرة ، وهو أرفع من أنْ يُرمى في عرضه أو تشوه صورته ، فهو طيب بقيَمه ومبادئه ، يعلو على المادية الدنية ، ويسمو إلى أرفع الدرجات . أُعطي النبوة لطيب فطرته ، ونزل الوحي عليه لطيب نفسه ، شهد الجميع ببراءته ونزاهته . وكيف يمكن أن تكون عائشة – رضي الله عنها – كما رموها وهي مقسومة لأطيب نفس على ظهــر الأرض ، ولقــد أحبتها نفس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حباً عظيماً فما كان يمكن أن يحبّبها الله تعالى لنبيه المعصوم إن لم تكن طاهرة تستحق هذا الحب العظيم [1] .

" فمن أطيب من رسول صلى الله عليه وسلم ؟!! وكما ذكرنا أن الله تعالى ما كان ليُدلِّس على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويجعل من أزواجه من تحوم حولها الشبهات، إذن فلا بد من أن تكون عائشة – رضي الله عنها – طَيِّبة طِيبةً تكافئ وتناسب طيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك برأها الله تعالى مما يقول المفترون " [2] .

يقول ابن كثير : " ما كان الله تعالى ليجعل عائشة – رضي الله عنها – زوجة رســول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا وهي طيبة لأنه أطيب من كل طيب من البشر ، ولــو كانــت خبيثة لما صلحت له لا شرعاً ولا قدراً ، ولهذا قـــال تـــعالى : چې ې ې □□ چ أي هــم بُعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان چ □ □ چ أي بــسبب مــا قيــل فيهم من الكذب

1- انظر : قطب : **في ظلال القرآن** ، جـــ4 ، ص 2500 . الصابوني ، محمد بن علي : **صفوة التفاسير** ، 3 أجــزاء ، ط9 ، القاهرة : دار الصابوني ، جـــ2 ، ص334 .

2- الشعراوي ، محمد متولي : **تفسير الشعراوي** ، المطبوع منه 16 جزءاً ، ط1 ، القاهرة : الأزهر ، مجمع البحــوث، 1991 م ، جـــ16 ، ص 10243 .

چ □ □ چ أي عند الله تعالى في جنات النعيم ، وفيه وعد بأن تكون زوجــة رســول الله – صلى الله عليه وسلم – في الجنة " [1] .

2- التحذير من الطعن في عرض الرسول صلى الله عليه وسلم :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حذرت الآيات من الخوض في عرض المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويظهر ذلك من خلال عدة أمـــور :

أ- التحذير من تلقي الإفك بالألسن:

يقول سبحانه وتعـالى : چں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چالنـور: 15.

قال ابن كثير : " قال مجاهد وسعيد بن جبير : چں ڻ ڻ چأي يرويه بعضـكم عـن بعض ، يقول هذا : سمعته من فلان ، وقال فلان : كذا ، وذكر بعضهم كذا ، چڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ أي تقولون ما لا تعلمون . چ گ گ گ گ ڳ ڳ چ أي تقولون ما تقولون في شـأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيراً سهلاً ، ولو لم تكن زوج النبي – صلى الله عليه وسلم– لما كـان هَيِّنا، فكيف وهي زوج النبي الأمي خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، فعظيم عند الله أن يقـال فـي زوج رسوله ما قيل! الله يغار لهذا ، وهو سبحانه وتعالى لا يُقَدِّر على زوج نبي من أنبيائه ذلك، حاشا وكَلا ، ولما لم يكن ذلك ؛ فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء ، وزوجة سيد ولـد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة؟! " [2] .

ب – الأمر بظن الخير:

قال تعالى چ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ چالنور: 16 .

وهذا تأديب آخر بعد التأديب الأول الآمر بظن الخير ، أي إذا ذكر ما لا يليق من القول بشأن الأخيار فينبغي الظن بهم خيراً ، وأن لا يكون في نفسه غير ذلك ، فإن علق فـي نفسـه شيء من الظن السيئ وسوسةً أو خيالاً ، فلا ينبغي أن يُتكلم به .

1- ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص40 .

2- ابن كثير : المصدر السابق ، جـ4 ، ص37 .

قال الطباطبائي في الميزان : " وقوله تعالى چ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ چ عطف بعد عطف على قوله چ ۓ ۓ ڭ چ إلخ، وفيه كرة ثالثة علـى المـؤمنين بالتوبيخ ، و قوله: چۆ چ اعتراض بالتنزيه لله سبحانه وهو من أدب القرآن أن ينزه الله بالتسبيح عند تنزيه كل منزه. والبهتان : الافتراء سمي به لأنه يبهت الإنسان المفترى عليه، وكونه بهتاناً

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عظيماً لأنه افتراء في عرض وخاصة إذا كان متعلقه بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وإنما كان بهتانا لكونه إخبارا من غير علم ودعوى من غير بينة " [1] .

جـ – التحذير من العودة لمثل ما وقع منهم :

قال تعالى : چو و ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ النور:17– 18.

فقوله تعالى : چو و ۉ ۉ چأي ينهاكم الله تعالى متوعدا أن يقع منكم ما يشبه هـذا أبداً، أي فيما يستقبل إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه وتعظمون رسوله – صلى الله عليه وسـلم – وفي قوله تعالى : چې ې چ تهييج لهم ليتعظوا ، وتذكير بمـا يوجـب تـرك العودة لمثل ما وقع منهم ، وهو اتصافهم بالإيمان الذي من شأنه الصد عن كل قبيح . چ ئا ئا ئە ئە چ أي يوضح لكم الأحـكام الشرعية والحـكم القدرية . چ ئو ئو ئۇ چ أي علـيم بما يصلح عباده حكيم في شرعه وقدره [2] .

د – النهي عن إشاعة الإفك:

قـال تعـالى : چ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ النور: 19.

وهذا تأديب وتحذير لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ فقام بذهنه شيء منه ، وتكلم بـه فليقطع كلامه ولا يشيعه ويذيعه ، فقد قـال تعالى : چ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ

1– الطباطبائي ، محمد حسين : **الميزان في تفسير القرآن** ، 20 جزءاً ، ط2 ، بيروت : مؤسسـة الأعلمـي ، 1973م ، جـ15 ، ص92 .

2– انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص37 . الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي : **الفتوحـات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية** ، 4 أجزاء ، القاهرة : المكتبة الإسلامية ، جـ3 ، ص213.

ئۇ ئۇ چ أي يختارون ظهور الكلام القبيح عنهم ، ويشيعون في الذين آمنوا وفي طهـارة بيـت النبوة ، وفي شرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن قصد وإرادة ومحبة لها چ ى ى ې ې ئا ئا چأي بالحد الشرعي في الدنيا ، وفي الآخرة بالعـذاب الألـيم ، چ ئو ئو ئۇ ئۇ چيعني أنه تعالى قد علم محبة مَن أحب الإشاعة وهـو تعالى معاقبه عليها [1] .

وقال سبحانه : چ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ النور: 20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الزمخشري " وكرّر المنة بترك المعاجلة بالعقاب ، حاذفاً جواب لولا كما حذفه ثمة . وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة ، وكذلك في التوّاب والرؤوف والرحيم " [2] .

1- انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ5 ، ص38 . الصابوني : **صفوة التفاسير** ، جـ20 ، ص330 .

2 - الزمخشري : **الكشاف** ، جـ3، ص221 .

ثالثاً : الإفك معركة انتصر فيها النبي صلى الله عليه وسلم

إنّ حادثة الإفك ما هو إلا إرجاف من المنافقين ، ومرضى القلوب ، أفصحوا في إرجافهم عن الافتراء والبهتان والإفك ، وهم الذين كانوا يخططون له ويشعلون لهيبه ليحزنوا الذين آمنوا ، ويدخلوا عليهم من الفتنة والشك ما يشغلهم عن نشر دعوتهم ، وتبليغ رسالتهم ، وليسيئوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أحب الناس إليه ، بألأم ما عُرف من لؤم الطبائع البشرية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومع هذا كله فقد كانت حادثة الإفك معركة موجهة ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لم يكن فيها مواجهة عسكرية ، بل إنها أتت بعد فشل أعداء الدعوة في كسر شوكة المسلمين عسكرياً .

يقول سيد رحمه الله تعالى : " لقد كانت معركة خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك ، وخاضها الإسلام . معركة ضخمة لعلها أضخم المعارك التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج منها منتصراً كاظماً لآلامه الكبار ، محتفظاً بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره " [1] .

وقد تجلّى انتصار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هذه المعركة في عدة مظاهر منها:

أولاً : صبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – النافذ ، فلم يُؤثر عنه أنه تلفظ بكلمة أساءت لأحد ، رغم شدة الإيذاء الذي تعرض له ، ولكنه واجه هذه المحنة بالحكمة وحسن التصرف ، فترك للمسلمين أن يحكموا على مَنْ رمى أطهر الطاهرات وهو يقول : ((يا معشر المسلمين ، مَنْ يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي)) [2] . وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على ضبط نفسه ، وثقته بالمؤمنين المخلصين الذين عاش بينهم سنين ، يربيهم ويعلمهم ويزكيهم ، ويغرس فيهم القيم ، ويحذرهم من سوء الظن .

1– قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ4 ، ص2501 .

2– جزء من حديث سبق تخريجه في ص 37 .

ثانياً : حُسن معاملته لأهل بيته ، وامتلاء قلبه يقيناً وثقةً بطهارة أزواجه وعفة أصحابه ، وهو يقول : ((أهلي والله ما علمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً، ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي)) [1] . وبهذا القول نجد التعليم العالي من محمد – صلى الله عليه وسلم – لمن يختبره الله تعالى بمثل تلك القلة الآثمة ، فهو لا يسارع إلى أهله يبادلهم بالاتهام أو الإيذاء ، أو غير ذلك مما يرتكبه الإنسان في غضبه أو ريبته، بل إنه يتلقى ذلك بالصبر الكظيم الهادئ الذي يميل إلى التبرئة ، ولا يميل إلى الاتهام [2] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل إنه صلى الله عليه وسلم في بداية الأمر لم يخبر عائشة – رضي الله عنها – بقـول أهل الإفك حتى تتبرأ ، فتكون الزوبعة قد هدأت ، والسحابة العارضة قـد تبـددت ، وبعـد أن علمت فقد طمأنها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يقول لها : ((فـإن كنـتِ بريئـة فسيبرئك الله تعالى)) [3] ، فتصبر – رضي الله عنها – حتى أتى الوحي رسولَ الله – صلى الله عليه وسـلم – يتلو عليه آيات البـراءة : چگ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ڱ ں ڻ ں ڻ ڈ ڇ النور: 23 . فكان ذلك انتصاراً عظيماً لرسول الله – صلى الله عليـه وسـلم – ولأهـل بيتـه الأطهار ، فكشف الله تعالى زيف ادّعاء أهل النفاق ، فلم يفلحوا في الوصول إلى تحقيق مآربهم في هزم المجتمع المسلم المتمثل في شخص رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نفسياً ، بعد أن فشلوا في هزيمته عسكريا [4] .

ثالثاً : استشارته لأصحابه وخواصه الثقات ، كـعلي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضـي الله عنهم ، فكلهم كذَّب الخبر ، وشدد في التكذيب ، مما طمأن قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – وأزاح عنه غشاء الشك ، فكان هذا انتصاراً مؤزراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفلح المنافقون ومعهم اليهود في أن ينزعوا ثقة أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسـلم بقائـدهم الحكيم ، بل زادهم ذلك حباً له وتمسكاً بمبدأ الحق الذي جاء به [5] .

1- جزء من حديث سبق تخريجه ص 35 .

2- انظر : أبو زهرة ، محمد : **خاتم النبين صلى الله عليه وسلم** ، جزءان ، ط2 ، قطر : دار إحياء التراث الإسلامي ، 1995 ، جـ2 ، ص598 .

3- جزء من حديث سبق تخريجه ص 34 .

4- انظر : عرجون : **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، جـ4 ، ص232 .

5- انظر : أبو زهرة : **خاتم النبيين** ، جـ2 ، ص986 .

المطلب الثالث : أثر حادثة الإفك على البيوت المؤمنة

أولاً : دور الأُسرة المؤمنة في مواجهة الشبهات :

لقد حرم الإسلام سوء الظن بالله وبرسوله وبالمؤمنين المعروفين بصلاح الحال واستقامة الخلق ، ونظافة السيرة ، وإن وقع منهم تقصير في معروف أو تجاوز لمباح أو خدش لمروءة ، فلا بد من تدارك هذا التقصير ، عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دون أن يتغير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلب المسلم قيد شعرة ، ولو للحظة واحدة ، إذ يقول سبحانه : چأبببپپپپڀڀڀڀٺٺٺٺچ الحجرات: ١٢ . وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ : ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ)) [1] .

وقد شرع الله عزّ وجل بما أنزله من آيات كريمة تبرئ السيدة عائشة – رضي الله عنها – قاعدة كلية من قواعد الحياة الاجتماعية في الإسلام ، وهي : " أنه ينبغي أن يكون الأساس للروابط الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ظن الناس فيما بينهم خيراً ، ولا ينبغي أن يظن بعضهم ببعض سوءاً ، إلا فيما كان له أساس إيجابي قاطع . فالمبدأ الذي يقوم عليه المجتمع الإسلامي هو أن كل رجل بريء لا إثم عليه ما لم يكن ثمة أساس قوي معقول لكونه مجرماً ، أو للشك في جريمته على الأقل ، وأن كل رجل صادق في ما يقول ما لم يكن ثمة ما يدل على كونه ساقط الاعتبار " [2] .

حفظ الله تعالى المؤمنين من التكلم في هذه المحنة :

سلك المؤمنون في حادثة الإفك الأليمة سلوكاً يدل على طهارة الجماعة المؤمنة من الدنس والسوء ، وما يحكمها من النظام والتماسك والعدالة الاجتماعية، ورحابة القلوب ، وبراءة الصدور .

وقد ضرب صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أروع الأمثلة في حبهم للبيت النبوي، فامتثلوا أمر الله عز وجل حيث نهاهم عن التكلم بالإفك : چ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڦ ڦ چ النور: 12، فلم يخوضوا مع مَنْ خاضوا في الإفك ، بل

1– رواه البخاري. انظر: **صحيح البخاري**، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ، رقم الحديث: (6064)، جـ8، ص 19 .

2– المودودي ، أبو الأعلى : **تفسير سورة النور** ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ص 120 .

إنهم أثنوا على الصديقة الطاهرة عائشة رضي الله عنها .

وظهرت طهارة قلوب المؤمنين عندما سألهم النبي – صلى الله عليه وسلم – عن موقفهم من الإفك ، فكلهم كذَّب، وشدّد في التكذيب ؛ تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : "فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ . قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنْ الْوُدِّ . فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسْأَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. قَالَتْ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ فَقَالَ : أَيْ بَرِيرَةُ [1] هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ ؟ قَالَتْ بَرِيرَةُ : لَا الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ [2] عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ [3] فَتَأْكُلُهُ" [4] .

ومن الخير أن تقال كلمة الخير ؛ والخير هنا أن نشير إلى أنَّ براءة أمَّنا عائشة – رضي الله عنها – واضحة ومفهومة بالبَداهة لدى كل منصف ، يُفهم أنَّ إمرأة كعائشة رضي الله عنها ، لا تُعرِّض نفسها لهذه الريبة أمام الجيش ، وفي وضح النهار ، ولغير ضرورة ، مع رجل من المسلمين ، يتّقي ما يتقيه المسلم في هذا المقام ، من غضب الله تعالى، وغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، وغضب المسلمين ، فتلك خُلَّة تترفع عنها مَنْ هي أقل من عائشة – رضي الله عنها – منبتاً ومنزلةً ، وخُلقاً وأنفة ، فكيف بها وهي في مكانها المعلوم ؟ وقد لاحظنا موقف أمّ أيّوب وزوجها ، وموقف عمار بن ياسر في الدفاع عن أمّ المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهم جميعاً [5] .

1- بريرة مولاة عائشة ، صحابية مشهورة ، عاشت إلى خلافة يزيد بن معاوية . [انظر : ابن حجر : **تحرير تقريب التقريب** ، 4 أجزاء ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997م ، جـ4 ، ص415].

2- أَغْمِصُه : أعيبه . [انظر ابن حجر : **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، جـ 8 ، ص601].

3- الداجن : الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى . [المصدر السابق ، جـ 8 ، ص602].

4- رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب التفسير ، باب " لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات .. " رقم الحديث : (4750) ، جـ6 ، ص101 – 105 .

5- انظر : جمعة : **نساء أهل البيت في ضوء القرآن والسنة** ، ص141 .

حفظ الله تعالى أمهات المؤمنين عن التكلم في هذه المحنة

لم تكن عائشة – رضي الله عنها – وحدها في البيت الذي أذهب الله تعالى عنه الرِّجس وطهَّره تطهيراً ، وإنَّما كانت هنالك شريكات لها في البيت النبويّ من أمهات المؤمنين : أمّ سلمة ، وسودة بنت زمعة ، وزينب بنت جحش ، وحفصة بنت عمر رضي الله عنهن [1] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان من أجَلِّ النعم الإلهية على البيت النبوي وعلى المسلمين ، أنّ الله عز وجلَّ قد حمى أمهات المؤمنين الطاهرات كلهن عن التكلم في محنة هذا البهتان الخبيث ، فلم يُؤثَر عن واحدةٍ منهن في عائشة كلمة واحدة ، ولا إشارة خفية ، وهنَّ ضرائرها ، وشريكاتها في القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من الطبيعي أن يكنَّ اللاتي يُخشى عليهنّ من بواعث الغيرة أن تدفعهن أو بعضهن إلى التحدث فيما يحوم حول ذلك .

" لكنَّ الله ذو الفضل العظيم ، قد حفظهنَّ جميعاً حفظاً مباركاً لمقام حرم رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن تظل عروش بيوتهن في خلوتهن أو جلوتهن معه – صلى الله عليه وسلم – بما يعصمهن عن الانزلاق إلى مزالق الباطل ، والتقول على مَنْ يعرفن أنها أحب الناس إليه صلى الله عليه وسلم ، وأعزهنَّ عنده ، وأعرفهنَّ بمطارح أنظاره ، وأسرعهنَّ إلى التعلق بأسباب رضاه في كل ما تقرُّ به عينه صلى الله عليه وسلم " [2] .

هذا وقد خص الله – عزَّ وجل – أمّ المؤمنين السيِّدة زينب بنت جحش – رضي الله عنها – بموقف نبيل كريم من عائشة – رضي الله عنها – في قصة الإفك ، ذلك أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – خصها بالسؤال عن عائشة قبل أن ينزل الوحيُّ ببراءتها وطهارتها من رجس الإفك ، وافتراء البهتان ، فقال لها : ((يا زينب ، ماذا علمتِ أو رأيتِ ؟)) . فقالت: " يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمتُ إلا خيراً " . قالت عائشة – رضي الله عنها – تثني على زينب رضي الله عنها ، وتعرف لها فضلها في دِينها وأدبها وجودها ومعروفها : " وهي التي تساميني [3] من أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم –

1– انظر :عرجون : **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، جـ4 ، ص283 .

2– جمعة : **نساء أهل البيت في ضوء القرآن والسنة** ، ص143 .

3– تساميني : تُعَادِلُنِي وَتُضَاهِينِي في الْحَظْوَة وَالْمَنْزِلَة الرَّفِيعَة . انظر : ابن حجر : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، جـ8 ، ص613 .

فعصمها الله بالورع "[1] .

إنه من الصَّعب أن تنتزِع ثناء امرأة على ضرتها في مثل هذا الموقف ، ولكنَّ نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – كنَّ من نوع آخر ، فكانت الواحدة منهنَّ تثني على ضرتها بما هي أهله .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد ورد عن عائشة – رضي الله عنها – أنها أثنت على ضرتها زينب بنت جحش – رضي الله عنها – فقالت : " كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت امرأة خيراً في الدِّين من زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم ، وأعظم للصدقة ، رضي الله عنها " [2] .

1- قطعة من حديث رواه البخاري ، سبق تخريجه ص 37 .

2- رواه أحمد . انظر : ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني : **مسند أحمد** ، 6 أجزاء ، ط1، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1999م ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، رقم الحديث: 25174 ، جـ6 ، ص151 . قال شعيب الأرنؤوط : " حديث صحيح " . انظر : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر : **مسند الإمام أحمد – الموسوعة الحديثية** ، المشرف العام : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، شارك فيها : شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، وعادل مرشد ، وابراهيم الريبض ، ومحمد رضوان عرقسوسي ، وكامل الخراط ، 50 جزءاً ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1996م ، جـ42 ، ص94 .

ثانياً : الخيرية في حادثة الإفك

أخبر سبحانه وتعالى أن حادثة الإفك الأليمة كانت خيراً للمؤمنين . قال سبحانه : چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ چالنور: 11 ، فأين الخير في مثل هذه المحنة والفتنة والابتلاء العاصف ؟!

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد ظهر خير هذه الفتنة في أمور عدة ، منها :

1- كشف مكائد المنافقين ، فإنهم وإن جاؤوا على زعمهم بحملة شعواء على نظام الجماعة وشخص الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأهل بيته ، ولكنها ما حاقت إلا بهم وما سببت للمسلمين إلا خيراً .

فالمنافقون ما كانو قد أثاروا هذه الفتنة وأشعلوا جذوتها إلا لأن يهزموا المسلمين في ميدان تفوقهم، ميدان الأخلاق الذي كانوا لسبقهم فيه يهزمون أعداءهم في سائر ميادين الحياة ، ولكن الله تعالى ما أخرج للمسلمين من هذه الفتنة إلا خيراً . فقد ثبت من سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وسلوك أهله في جانب ، وسلوك أبي بكر – رضي الله عنه – وأهله في الجانب الآخر ، وسلوك عامة المسلمين في الجانب الثالث ، في هذا الموقف الأليم مبلغ طهارة الجماعة من الدنس والسوء وما يحكمها من النظام والتماسك والعدالة الاجتماعية وبراءة الصدور. فإن إشارةً من الرسول – صلى الله عليه وسلم – كانت أكثر من الكافي في ضرب المسلمين أعناق من رموه في عرضه ورسالته ، فها هم الناس يتحدثون بالإفك شهراً كاملاً في المدينة ، ولكنه يصبر عليه ويعاني شدائده . وها هو مسطح بن أثاثة ، الذي ينفق عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو من أقربائه ، يفجعه في فلذة كبده ، ولكنه لا يقطع عنه صلة القرابة ولا يمسك يده عن مساعدته . وها هنَّ أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – لا تسهم إحداهنَّ في تشويه سمعة ضرتها ولا تقول فيها إلا خيراً . فهذه هي الدرجة السامية من طهارة الخُلق والإخلاص ، التي كان عليها الذين لهم صلة مباشرة بحادثة الإفك [1].

وقد وقف المسلمون وقفةً حازمةً صارمةً في وجوه مَنْ أشاعوا هذا الخبر الكاذب ، وهوَّنوا على رسول – صلى الله عليه وسلم – الأمر ، بقولهم الحسن في عائشة رضي الله عنها. فهؤلاء ملأ الإيمان قلوبهم فزادهم علماً بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

1- انظر: المودودي : **تفسير سورة النور** ، ص124 .

ومعرفة بحرماته ، وتقديراً لمنزلته عند ربه سبحانه الذي أرسله هدى ورحمة للعالمين . وهكذا ما ظهرت النتيجة إلا على العكس مما قصده المنافقون من الإرجاف بالسوء وإشاعة الأكاذيب والبهتان في مجتمع مؤمن ، ما زاده إلا تفوقاً في أخلاقهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- حادثة الإفك سبب زيادة عظيمة في قوانين الإسلام وأحكامه وقواعده للحياة الاجتماعية، وقد تلقى المسلمون من الله تعالى تعاليم ؛ إذا عملوا بها سلم مجتمعهم من نشوء المنكرات والفواحش، ومِنْ تداركها إذا نَشَأت .

يقول سعيد حوى : " وهو خير لما فيه من الدروس والعبر الكثيرة ؛ إذ حمى الله تعالى بسبب العبرة من هذه القصة ملايين الأعراض " [1] .

وحسب القاعد المعروفة " العبرة في عموم اللفظ لا بخصوص السبب [2] " فهذه الآيات تلقي في النفوس المهابة والخوف عند الكلام عن أعراض الناس ، فحين تتهم عائشة وتنزل براءتها من فوق سبع سماوات في قرآن يُتلى ويتعبد به إلى يوم القيامة ، وحين يُفضح قوم على لسان القرآن ، لا بد أن يعتبر الآخرون ويخافوا إن فعلوا مثله أن يُفتضح أمرهم ، لذلك جاء هذا الموقف درساً عملياً لمجتمع الإيمان .

3- أصبحت هذه الحادثة خيرًا لأنها نوع من التأييد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولدعوته . قال محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى : " فالحق تبارك وتعالى يؤيّد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأشياء المُرَّة ليقطع أمل أعدائه في الانتصار عليه ولو بالتدليس وبالمكر ولو بالإسرار والكيد الخفي ، ففي ذروة عداء قريش لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إيمان الناس يزداد يوماً بعد يوم ، وكأن الحق سبحانه وتعالى يقول لأعدائه : اقطعوا الأمل فلن تنالوا من محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - أبداً . ومن هنا كانت حادثة الإفك خيراً للجماعة المؤمنة " [3].

4- ومن نواحي الخير في هذه الحادثة ، أنَّ الله - عز وجل - أراد أن يُعلِّم الأمَّة أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يعلم الغيب ، وأنه لا يعلم إلا ما يخبره به الله سبحانه وتعالى . فقد ظل شهراً كاملاً يعاني الألم وفجيعة القلب في أمر عائشة رضي الله عنها ، فيسأل فيها خادم

1- حوى ، سعيد : **الأساس في التفسير** ، 10 أجزاء ، ط1، القاهرة : دار السلام ، 1985 ، جـ7 ، ص3713 .

2- انظر : الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد : **المستصفى من علم الأصول** ، دراسة وتحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، جزءان ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1417هـ ، 1997م ، جـ2 ، ص 131 .

3- الشعراوي: **تفسير الشعراوي** ، جـ16 ، ص 10214.

بيته تارةً وعلياً أخرى وأسامة بن زيد ثالثةً وأزواجه رابعةً ، وأخيراً يذهب إلى عائشة نفسها ولا يقول لها إلا : ((إن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه)) [1] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلو أنَّه صلى الله عليه وسلم كان يعلم الغيب ، فلماذا يعاني هذا الألـــم والقلـــق والأرق الشديد المديد ؟ ولماذا يسأل في عائشة – رضي الله عنها – ويلقنها التوبة ؟ ولكـــنْ لمَّـــا نـــزل الوحي وأحاطه بحقيقة الواقع ، علم مالم يعلم هو ولا غيره من البشر طوال شهر كامل .

يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله تعالى : " فهكذا أراد الله تعالى أن ينقذ المســـلمين بالتجربة والمشاهدة المباشرة من الغلو في شخص مقتداهم ومرشدهم صلى الله عليـــه وســـلم . وليس من البعيد أن يكون هذا من المصالح التي لأجلها حبس الله – سبحانه وتعالى – وحيه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى شهر كامل . ولو أنه أنزل وحيـــه يـــوم وقـــع هـــذا الحادث، لما رجع المسلمون بهذه الفائدة العظيمة " [2] .

5– بيان شر المنافقين وخطرهم على الجماعة المؤمنة ، وذلك لأن المسلم يعلم عدوه الكـــافر ، ويَعدّ العدة للقائه ، لكن المنافق يندس مع المسلمين ، يتكلم بكلامهم وبلسانهم ، وإن خـــرج مـــع الكافرين فهو منهم ومعهم ﭽ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ النساء: ١٤٣. والمؤمنون لا يعلمون شرهم ولا خطرهم ، إلا بمثل هذه المحن والفتن .

" لقد ظهر المنافقون ظهوراً جلياً للموحدين بعد هذه الفتنتة الحالكة ، فمثل هـــذه المحـــن تخرج المخبوء ، مثل هذه الفتن تكشف عن السرائر ، وتبين الجوهر الحقيقي ؛ لأن الإنسان في حال الرخاء قد لا يعرف دروب نفسه وقد لا يعرف مجاهلها ، وقد لا يعرف عيوبها ، وقـــد لا يعرف خطرها ، فإذا ما تعرض للمحنة انكشف له كل شيء " [3] .

لقد كشفت هذه الحادثة الأليمة أنَّ المؤمن الصادق هو الذي يثبت في المحن والفتن والابـــتلاء ، أمَّا المنافق الذي يعبد الله على حرف فإذا ما اعترضته فتنة أو ابتلاء ترك الطريق وانحرف على وجهه فأصبح من الخاسرين في الدنيا والآخرة ، ليكون شغله الشاغل البحـــث عـــن العثـــرات، واتباع الزلات لتشويه السمعة الطيبة الطاهرة للمؤمنين ، قدوته في ذلك ابـــن سلول زعيم النفاق

1– جزء من حديث سبق تخريجه ص .34

2– المودودي: **تفسير سورة النور** ، ص126.

3– حسان ، محمد : **لا تحسبوه شراً لكم** ، مصر ، المنصورة : دار فياض ، 2005 م ، ص23 .

والمنافقين . يقول سبحانه وتعالى : ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭻ الحج: ١١ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" ولولا إظهار المنافقين الإفك كان يجوز أن يبقى الهمُّ كامناً في صدور البعض ، وعند الإظهار انكشف كذب القوم "[1].

6- ارتفعت مكانة عائشة – رضي الله عنها – بعد هذه المحنة عند الله سبحانه وتعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد نزل في حقها قرآنٌ يُتلى إلى يوم القيامة ، فأي كرامة هذه ؟!! وقد ظلَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد هذه المحنة يعرف قدر عائشة – رضي الله عنها – ومكانتها وقد برأها الله سبحانه من فوق سبع سماوات .

أستنتج مما سبق أنه لا يجوز أنْ تثبط تلفيقات أعداء الدعوة همم المؤمنين الصادقين ، ولا تضعف عزائمهم وأنْ لا يحدقوا وينظروا فقط إلى ما في هذه التلفيقات من أذى لهم وضرر عليهم ، بل عليهم أنْ يبصروا من خلالها جانب الخير والمصلحة المتمثلة بالأجر العميم ، وبنصرة الله تعالى لهم ، وبتوعد أعداء الدعوة . وليتذكر المؤمنون قول الله تعالى لرسوله – صلى الله عليه وسلم – وللمؤمنين الذين تأذوا بحديث الإفك : چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ النور: 11 .

1- ابن عادل: **اللباب في علوم الكتاب** ، جـ14 ، ص320 .

ثالثاً : التربية الخلقية للمؤمنين في آيات الإفك

وقد كانت هذه التربية على نوعين هما :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- التخلي عن الأخلاق الذميمة ، ومن أهمها :

أ – الزنا:

في التعقيب على حادثة الإفك وصف الله – سبحانه وتعالى – الزنا بالخبيث ، فقال : چ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ چ النور :26 . قال ابن عاشور : " والمراد بالخبث : خبث الصفات الإنسانية كالفواحش " [1] فهو من صفات الخبيثات والخبيثين ، فالنفوس المؤمنة لا تمتزج ولا تلتئم مع النفوس الخبيثة ولا ترضى الخبث .

قال البروسوي : " چ ۈ چ من النساء أي الزواني ... چ ۈ ۇ چ من الرجال أي الزناة ، كابن أُبي المنافق تكون له امرأة زانية أي مختصات بهم ، لا يكدن يتجاوزنهم ؛ لأن لله ملكاً يسوق الأهل إلى الأهل ويجمع الأشكال بعضاً إلى بعض على أن اللام للاختصاص [2] ".

والآية إن جاءت للاستدلال على براءة السيدة عائشة – رضي الله عنها – إلا أنها تفيد أن الذي ينزع إلى الخبث هم الخبيثون والخبيثات وليس أهل الطيب من أصحاب الفضائل [3] .

وقد جاء في الحديث الشريف : ((ثلاث لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة المتشبه بالرجال ، والديوث [4])) [5] .

ب- القذف :

نبهت الآيات على أهمية الكلمة وعظيم أثرها ، وأنها ليست مجرد صوت ينطلق من فم ، وإنما هي رسالة من الرسالات إلى عقول الناس. قد تكون طيبة فتحمل عليهم الخير والهدى ،

1- ابن عاشور : **التحرير والتنوير** ، جـ18 ، ص195 .

2- البروسوي ، إسماعيل حقي : **تفسير روح البيان** ، 9 أجزاء ، القاهرة : دار سعادات ، جـ6 ، ص136 .

3- انظر : أبو حيان ، محد بن يوسف الأندلسي الغرناطي : **البحر المحيط** ، 9 أجزاء ، بيروت : دار الفكر ، 1983 ، جـ6 ، ص 440 .

4- الديوث : الذي يُقِرّ الْخُبْث فِي أَهْله . [انظر : التركي: **الموسوعة الحديثة شرح مسند أحمد** ، جـ10 ، ص289].

5- رواه أحمد ، انظر: **المسند** ، رقم الحديث : (6180) ، جـ2 ، ص 134 . وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة وقال عنه " حسن " . انظر : الألباني : **السلسلة الصحيحة** ، رقم الحديث : (674) ، جـ2 ، ص 173 .

وقد تكون خبيثة فتسوق إليهم البلاء والهلاك . وإنَّ الكلمة وإنْ كانت في حساب النفوس المريضة شيئ لا وزن له ولا ثمن للقليل أو الكثير منه ، فإنها عند أهل الرأي والإيمان شيء عظيم . قال تعالى : چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □□ □ □

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

□ □ □ چالنور: ١٩ . قال الزمخشري : " يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة ، وإرادة ومحبة لها ، وعذاب الدنيا الحدّ ،.... چ □ □ چما في القلوب من الأسرار والضمائر چ □ □ □ چيعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة ، وهو معاقبه عليها "[1].

جـ- إشاعة الفاحشة في المؤمنين :

لا بد أن يبعد المؤمن عن نفسه أي ميل أو محبة أو رغبة في إشاعة الفاحشة ، ونهش الأعراض ، واتهام الغافلين المؤمنين . فقول الله عز وجل : چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □□ □ □ □ □ □ چالنور: ١٩ ، ذم ووعيد لمن يحب ويريد إذاعة الفاحشة ونشرها بين المؤمنين .

قال ابن تيمية : " ويكون ذلك باللسان والجوارح فهو ذم لمن يتكلم بها محبة لها أو محبة لوقوعها في المؤمنين "[2] .

" فالمراد بشيوع الفاحشة شيوع خبرها ؛ أي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لإشاعتها " [3] . وإشاعة الفاحشة أشبه بالنار تكون أول الأمر شرارة ، فإذا هي لم تعالج في الحال اندلعت ألسنتها وعلا لهيبها ، وصارت حريقاً عظيماً لا يدفعه شيء .

د- تناقل الكلام بلا تثبت ودليل:

يقول سبحانه وتعالى : چں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے چالنور: ١٥ ، " وهذا عتاب للمسلمين على تكلمهم بما لاعلم لهم به ولا دليل عليه ، وتأديب حتى لا يقول المرء إلا ما يعلمه ويتحققه " [4].

1- الزمخشري : **الكشاف** ، جـ3 ، ص217 .

2- ابن تيمية ، أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم الدمشقي : **تفسير سورة النور** ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط2، 1996 م ، ص92 .

3- أبو السعود ، محمد بن محمد الحنفي العمادي : **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، 10 أجزاء، ط1، بيروت : دار صادر للتراث ، 1999 م ، جـ6 ، ص163 .

4- الزحيلي ، وهبة : **التفسير المنير** ، 30 جزءاً ، دمشق : دار الفكر ، 1991م ، جـ18 ، ص180 .

هـ- العدول عن الحلف على ترك فعل الخير :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويؤخذ هذا من قول الله تعالى : چ ج ح چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ چ النور: ٢٢. قال الطبري في سبب النزول : " وإنما عُني بذلك أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه في حلفه بالله لا ينفق على مِسْطَح [1] ، فقال جلّ ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله ألا يُعْطُوا ذَوي قَرابتهم، فيصلوا به أرحامهم، كمِسْطح، وهو ابن خالة أبي بكر چ ڍ چ يقول: وذوي خَلَّة الحاجة ، وكان مِسْطح منهم ؛ لأنه كان فقيرا محتاجا چ ڍ ڌ ڌ ڎ چ وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله، وكان مِسْطَح منهم; لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا چ ڈ ژ چ يقول: وليعفوا عما كان منهم إليهم من جُرم، وذلك كجرم مِسطَح إلى أبي بكر في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك ، چ ڑ چ يقول: وليتركوا عقوبتهم على ذلك ، بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم چ ژ ڑ ک ک ک چ يقول: ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بإفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها چ گ گ چ لذنوب من أطاعه واتبع أمره ، چ گ چ بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها، وتابوا إليه من فعلها " [2] .

وعلى كلٍ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالآية جاءت بصيغة العموم لتشمل عموم المسلمين . والآية دليل على عدم القعود والتقصير عن فعل الخير والإحسان إلى الآخرين . ودليل على " أنَّ اليمين على الامتناع من الخير غير جائزة ، وإنما تجوز إذا جُعلت داعية للخير لا صارفةً عنه " [3] .

1- تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : " فلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ– لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ : وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا إِلَى قَوْلِهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ } . رواه البخاري ، انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب التفسير ، باب " لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات .. " ، رقم الحديث : (4750) ، جـ6 ، ص101 .

2- الطبري : **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، جـ19 ، ص36 .

3- الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين : **التفسير الكبير** " **مفاتيح الغيب** " ، 32 جزءاً ، ط2 ، بيروت: دار الكتب العلمية ، 1997 ، جـ 23 ، ص191 .

2- التحلي بالأخلاق الفاضلة ، ومن أهمها :

أ- حسن الظنّ بالمؤمنين ومحبتهم ودفع التهم عنهم:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقــول سبحانه وتعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﭼالنور: 12 ، وهــذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يحسنوا الظن فيما بينهم ، ويدفعوا عن بعضهم أعراض بعــض ، وأن لا يتمادوا بسماع السوء أو يصروا على تناقله [1] .

ويلحظ في الآية السابقة العدول عن الخطاب إلى الغيبة وعن المضمر إلى الظاهر ، فلم يقل : (لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم) وذلــك مبالغةً في التوبيخ بطريقــة الالتفات . قال الجزائري : " وقوله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌﭼ هذا شروع في عتاب القوم وتأديبهم وتعليم المسلمين وتربيتهم فقال عز وجل : ﭽ ﭾ ﭼ أي هلا وهي للحض والحث على فعل الشيء إذ سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيراً إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة ، وقلتم لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين أي ظاهر لا يقبل ولا يقر عليه هكذا كان الواجب عليكم ولكنكم ما فعلتم " [2] .

ويتعلم المسلم حسن الظن من مواقف سجلت لبعض الصحابة – رضي الله عنهم – في هذه الحادثة ، كموقف أبي أيوب الأنصاري وزوجته ، وموقف أسامة وعليّ وبريرة وزينب بنت جحش رضي الله عنهم جميعاً .

ب – الصبر وضبط النفس:

وهذا درس يتعلمه ويتربى عليه المسلمون من خلال معالجة الرسول – صلى الله عليــه وسلم – لفتنة حديث الإفك دون أنْ يبرئ أو يتهم ، ومن موقف أبي بكر وزوجته أمّ رومــان – رضي الله عنهما – ولا يزيد أحدهما عن القول لعائشة رضي الله عنها : " والله مــا أدري مــا أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم " .

وبصبره – صلى الله عليه وسلم – النافذ أتى الفرج ، وخرج منتصراً على الرغم مــن آلامــه وأحزانه . يقول سيد رحمه الله تعالى : " لقد كانت معركة خاضها رسول الله صــلى الله عليــه وسلم وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك . وخاضها الإسلام . معركة ضــخمة لعلهــا أضــخم

1- انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جــ4 ، ص37 .

2- الجزائري ، أبو بكر جابر : **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، 5 أجزاء ، ط2 ، المدينة المنورة : أضــواء المنــار ، 1419 هــ ، جــ3 ، ص 555 .

المــعارك التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج منها منتصــراً كاظمــاً لآلامــه الكبار، محتفظاً بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره ، فلم تؤثر عنه كلمة واحدة تدل على نفاد صبره وضعف احتماله . والآلام التي تناوشه لعلها أعظم الآلام التي مرت به في حــــياته" [1].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعائشة – رضي الله عنها – الطاهرة المطهرة متهمة بأعظم ما يمكن أنْ تتهم به امرأة عفيفة، ولا تجد ما تدافع عن نفسها إلا الصبر والدعاء وقولها : " وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ چ ژ ژڑ ڑ ک ک ک ک چ يوسف: 18 "[2].

جـ– التثبت وتحري الحق وعدم الحكم بالظن:

وهو درس عظيم ، نتعلمه من موقف أمّ المؤمنين زينب بنت جحش – رضي الله عنها – وهي تقول : " أحمي سمعي وبصري " . فلا بد للحكم من دليل حتى لو كان الخصم ضرةً لها. وهو الدرس المستفاد من قول عليّ – رضي الله عنه – " وإن تسأل الجارية تصدقك " إشارة منه أنْ يتثبت من خادمتها بريرة .

وهو درس علمه الله تعالى للمؤمنين بعد حادثة الإفك . يقول سبحانه وتعالى : چ ڃ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ النور: 13 ، فالقرآن الكريم يوجه المؤمنين إلى المنهج القويم في مواجهة الشائعات ويطلب منهم خطوتين[3] :

الأولى : عرض الأمر على القلب واستفتاء الضمير ، وهي طلب الدليل الباطني الوجداني . يقول سبحانه وتعالى : چ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ چ چ النور: 12 .

الثانية : التثبت بالبينة والدليل ، وهي طلب الدليل الخارجي والبرهان الواضح . يقول سبحانه وتعالى : چ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ النور: ١٣ .

د– الاستجابة للحق والرجوع للفضيلة:

المؤمنون مستجيبون للحق ، لهم كان أو عليهم ، بلا تردد ولا جدال ولا انحراف . وقد أمر الله سبحانه بالانضباط بشرعه الحنيف ، واتباع الحق في الرضى والغضب . فقال سبحانه :

1– قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ4 ، ص2501 .

2– جزء من حديث سبق تخريجه ص 34 .

3– انظر : قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ4 ، ص2502 .

چ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ النور: ٢٢ . وقد بيّنتُ أنها نزلت في أبي بكر– رضي الله عنه – عندما حلف أن لا ينفق على ابن خالته مسطح بعد أن تحدَّث بالإفك ، وكان مسكيناً لا مال له، وكان من المهاجرين في سبيل الله تعالى ، وقد زلق زلقةً تاب الله تعالى عليه وضُرب الحد عليها، وكان الصديق – رضي الله عنه – معروفاً بالمعروف على الأقارب والأجانب ، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله تعالى : چ ژ ڑ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ک ک ککک گ گ گ چ والتي تبين أنّ الجزاء من جنس العمل ، فكما تغفر ذنب مَنْ أذنب إليك يغفر الله لك ما أذنبت في حقه تعالى ، وكما تصفح عمن أساء إليك يصفح الله عنك ، فعند ذلك قال أبو بكر الصديق : " بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا " . ثم أرجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة ، وقال : " والله لا أنزعها منه أبداً " [1] في مقابلة ما كان قال: " والله لا أنفعه أبداً " [2] .

فالمؤمن يسير مع الحق حيث سار ، ولا يُعرف منه مخالفة للحق مهما كانت قوة الضغوط عليه، ومهما تعرض للمحن ، فهو يحسن للناس وإن أساؤوا له ، أو كانت بينه وبينهم شحناء لجناية اقترفوها ، فالله يأمر بالعدل والإحسان .

هـ- إشاعة العفو والصفح بين المؤمنين:

على المؤمنين إشاعة حب العفو والصفح فيما بينهم ، فيصفح بعضهم عن بعض إذا صدرت منه الإساءة أو التقصير ، فإن الشأن بالأخ الصفح والعفو عن أخيه ، فالجزاء من جنس العمل، فإذا عفا المؤمن عن أخيه ، جازاه الله تعالى بالعفو عن زلاته وذنوبه ، وليتذكر قول الله تعالى : چڈ ڈژ ژ ڑ ڑ ک ک ککک گ گ گ چالنور: 22 ، وليكن قدوته أبو بكر – رضي الله تعالى عنه – في عفوه عمن تكلم في عرضه [3].

1- رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ، رقم الحديث : (4141) ، جـ 5، ص 116 .

2- انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص 38 – 39 .

3- انظر : زيدان ، عبد الكريم : **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة** ، جزءان ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة، 1999م ، جـ2 ، ص320 . الصابوني ، محمد علي : **روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن** ، جزءان، ط1 ، دمشق : مكتبة الغزالي ، 1971م ، جـ2 ، ص102 – 103 .

المبحث الثاني

زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وإبطال التبني

المطلب الأول : تبني النبي – صلى الله عليه وسلم – زيد بن حارثَة وإبطال التبني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التبني : هو اتخاذ ابن أو ابنة الآخرين بمثابة الابن الحقيقي من النسب الصحيح والأصيل . وكان التبني من العادات الشائعة في المجتمع الجاهلي لأسباب عدة منها [1] :

1- التجاوب مع النزعة الفطرية في حب الأولاد في حال العقم أو اليأس من الإنجاب .

2- استحسان ابن الآخر ، فيجعل الولد مُتبنَّى مع العلم أنه ولد الأب الآخر الحقيقي ، وليس ولداً للمُتَبنِّى في الحقيقة .

3- رعاية ولدٍ لقيط أو مفقود أو مجهول النسب ، أو لا عائل ولا مربي له ، فيكون تبنيه حفاظاً عليه من الضياع أو الموت أو الهلاك .

4- حب الرفعة والانضمام لنسب مرموق في المجتمع ، أو ذي عزة وجاه بين فئات المجتمع، وقد يكون أب المُتَبنَّى الحقيقي في حالة من الفقر المدقع ، أو انعدام عاطفة الرحمة الأبوية ، فيتخلى عن الولد بالبيع أو الهبة أو الترك أو الإهمال ، فيتلقفه الآخرون ، ويُضم إلى أسرة غريبة عنه في الدم والأصل .

وبقي التبني ظاهرة موجودة في بداية الإسلام ، حيث لم تتقرر أحكام التشريع الإلهية دفعةً واحدة ، وإنما على منهج التدرج والتربية شيئاً فشيئاً . وتمشياً مع هذه الظاهرة تبنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل بعثته شاباً من سبايا بلاد الشام ، سباه رجل من تهامة ، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد ، ثم وَهَبه لعمته خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم وهبته للنبي – صلى الله عليه وسلم – فأعتقه وتبناه ، وهو زيد بن حارثة الكلبي ، الذي كان يقال عنه زيد بن محمد [2] ، وهو أول مَن آمن به من الموالي . ولما علم أبوه موضعه،

1- انظر : الزحيلي ، وهبة : ندوة بعنوان : **حكم التبني وأبعاده الإنسانية والاجتماعية** ، باريس : مسجد الدعوة ، يوم السبت 28 – 4 – 2001 . موقع : د . وهبة الزحيلي (www.zuhayli.net) .

2- روى البخاري عن عبدالله بن عمر أنه كان يقول : ماكنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت في القرآن: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ . انظر: **صحيح البخاري** ، كتاب التفيسر ، باب قوله تعالى : ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ ، رقم الحديث : (4782) ، جـ6 ، ص116 .

خرج وأخوه كعب ابنا شرحبيل لفدائه ، فقدما مكة ،فدخلا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالا: يا ابن عبد المطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، جئناك في ابننا عندك فامنن علينا ، وأحسن إلينا في فدائه. فقال: " من هو " ؟ قالوا: زيد بن حارثة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فهلا غير ذلك " . قالوا: ما هو؟ قال: " ادعوه وخيروه، فإن اختاركم فهو لكم ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً " . قالا: قد زدتنا على النصف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأحسنت. فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " هل تعرف هؤلاء " ؟ قال: نعم ، هذا أبي وهذا عمي . قال : " فأنا من قد عرفت ورأيت صحبتي لك ، فاخترني أو اخترهما " . قال : ما أريدهما ، وما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني مكان الأب والعم. فقالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وأهل بيتك؟! قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه إلى الحجر، فقال : " يا من حضر، اشهدوا أن زيداً ابني، يرثني وأرثه " . فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا [1].

ثم جاءت سورة الأحزاب لتعطينا الحكم القاطع بإبطال التبني ، وذلك على النحو الآتي:

أ- نفي الله تعالى أن يكون المُتبنَّى ابناً للمُتَبَنِّي .

قال تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﭼالأحزاب: 4 أي ما جمع الله قلبين في جوف واحد ، ولا زوجيّة وأمومة في امرأة ، ولا بنوة ودِعوة [2] في رجل. والمعنى : أنَّ الله تعالى كما لم يرَ في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين ، لم يرَ أن تكون المرأة الواحدة أُمَّاً لرجل وزوجاً له ، كما لم يرَ أن يكون الرجل الواحد دَعِيَّاً لرجل – أي ابناً له بالتبني – وابناً صلبياً له ، لأن البنوة الحقيقية أصالة في النسب ، والدِعوَّة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلاً وغير أصيل.

1- انظر : ابن الأثير ، علي بن محمد بن الأثير الجزري : **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، ط1 ، بيروت : دار المعرفة 1997م ، جـ2 ، ص238 . القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ14 ، ص118 . ابن القيم : زاد المعاد ، جـ3 ، ص17 . السيوطي : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، جـ8 ، ص124 .

2- الدِّعوة في النَّسب بالكسر. والمقصود هنا بنوة التبني . قال أبو عبيدة: يقال في النَّسب دِعوة، [انظر : ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا بن حبيب الرازي: **مقاييس اللغة** ، 6أجزاء، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، 1423هـ ، 2002م ، جـ2 ، 228 . عتريس ، محمد : **المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم** ، ط1 ، القاهرة : مكتبة الآداب ، 2006م ، ص44].

ﭽ ﮢ ﭼأي النسب الذي تريدون إثباته لمن تتبنوه هو ﭽ ﮣ ﮤﭼ: هذا ابني لا غير ، ولكن هذا القول لا حقيقة له ، فلا يقتضي دعواكم ذلك ، أن يكون ابناً حقيقياً لمن ادّعاه ، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر ، فلا يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون لبشر قلبان ، ﭽ ﮥ ﮦ ﭼأي الثابت المحقق في نفس الأمر ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﭼأي السبيل الحق [1] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- دعوة الأبناء لآبائهم الحقيقين في النسب

يقول سبحانه وتعـالى : چ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ چالأحزاب: 5 .

يقول سيد رحمه الله تعالى : " وإنه لقسط وعدل أن يدعى الولد لأبيه . عدل للوالد الذي نشأ هذا الولد من بضعة منه حية . وعدل للولد الذي يحمل اسـم أبيـه ، ويرثـه ويـورثه ، ويتعاون معه ويكون امتداداً له بوراثاته الكامنة ، وتمثيله لخصائصه وخصائص آبائه وأجـداده، وعدل للحق في ذاته الذي يضع كل شيء في مكانه؛ و يقيم كل علاقة على أصلها الفطري ، ولا يضيع مزية على والد ولا ولد؛ كما أنه لا يحمل غير الوالد الحقيقي تبعة البنـوة ، ولا يعطيـه مزاياها . ولا يحمل غير الولد الحقيقي تبعة البنوة ولا يحابيه بخيراتها! " [2] .

ولم يسع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا أن يرد زيداً إلى حارثة وأمه ، وينفي القول الشائع : زيد بن محمد ؛ ليعمق الانتماء للآباء و الأمهات . وقد جاء في السـنة النبويـة الصحيحة ما يدل على منع الإنسان من انتمائه أو انتسابه إلى غير أبيه الحقيقي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مـن ادّعـى إلـى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عـليه حرام)) [3] .

وفي حال جهل المُتَبنِّي نسب من تبناه أو عدم العثور على أصله ، فإنه يدعوه (مـولى) أي مناصراً ومعيناً له ، و (أخاً في الدين) وهذا نسب إلى الأسرة الإسلامية الـكبـرى القـائم نظامها على أساس متين من الأخوة والتعاون والودِّ والتراحم . وبهذه الدعوة تتجلى علاقةٌ أدبية

1- انظر : الزمخشري : **الكشاف** ، جـ3 ، ص520 . الصابوني : **صفوة التفاسير** ، جـ2 ، ص512 .

2- قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ5 ، ص2826 .

3- رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب الفرائض ، باب مَنْ ادعي إلى غير أبيه ، رقـم الحديث : (6766)، جـ8 ، ص156 .

شعورية لا تترتب عليها التزامات محددة ، كالتزام التوارث والتكافل ودفع الديّـات ، وهـي التزامات النسب بالدم التي كانت تلتزم مـن عادات العرب في التبني[1].

جـ- ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم

قال الله تعالى : چ ﯓ □ چالأحزاب: 40 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" أي لم يكن أبا رجل منكم وليس له أبناء على الحقيقة ، ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ، ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه ، لا في سائر الأحكام الثابتة بين الأبناء والأباء ، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة ، فكان حكمه حكمكم ، والادّعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير " [2] .

و قد يُقال أليس للنبي – صلى الله عليه وسلم – أبناء مثل : القاسم وإبراهيم وعبدالله ، فكيف تنفي الآية وجود الأبناء له ؟!! .

يُجيب على ذلك القرطبي رحمه الله تعالى بقوله : " ولم يقصد بهذه الآية أن النبي – صلى الله عليه وسلم– لم يكن له ولد، فقد ولد له ذكور: إبراهيم، والقاسم، وعبدالله ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلا " [3] .

1– انظر : الزحيلي : **ندوة بعنوان : حكم التبني وأبعاده الإنسانية والاجتماعية** . موقع : د . وهبة الزحيلي (www.zuhayli.net).

2– الزمخشري : **الكشاف** ، جـ3 ، ص527 .

3– القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ14، ص173 . وانظر : البيضاوي ، ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر ابن محمد الشيرازي : **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1999م ، ص 559 .

المطلب الثاني : الشبهات التي أُثيرت حول زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – بزينب بنت جحش رضي الله عنها

خطب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – زينب بنت جحش ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب لزيد بن حارثة قبل تحريم التبني . روى ابن سعد في طبقاته : " قدم النبي– صلى الله عليه وسلم– المدينة وكانت زينب بنت جحش ممن هاجر مع رسول الله– صلى الله عليه وسلم–

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى المدينة ، وكانت امرأة جميلة فخطبها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على زيد بن حارثة فقالت: يا رسول الله لا أرضاه لنفسي وأنا أيم قريش . قال: فإني قد رضيته لك . فتزوجها زيد بن حارثة [1].

فرسول – صلى الله عليه وسلم – كان يرى أن زينب ابنة عمته هي التي تحتمل الخروج عن تقاليد العرب ، والقضاء على عاداتها ، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يعلم أن تقاليد الجاهلية لم تكن قد انمحت من نفوس المسلمين بعد فقال لها : ((بل فانكحيه فإني قد رضيته لك)) [2] . فالذي يقتضيه حكم النبي – صلى الله عليه وسلم – اعتبار الدين في الكفاءة هو الأصل لقوله تعالى : چچ ڈ ڈ ژ ژ چالحجرات: 13 فجوّز للمولى نكاح الحرة النسيبة الغنية إذا كان عفيفاً مسلماً [3] .

وقبل أن تتردد زينب في هذا الزواج نزل قول الله عز وجل : چٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ چالأحزاب: 36 ، وهنا لم يبق أمام زينب وأخيها إلا الامتثال والإذعان لأمر الله وقضائه [4] .

ولكن العلاقة الناتجة عن هذا الزواج ظلت واهية ، وازداد النفور يوماً بعد يوم ، واشتكى زيد أكثر من مرة ، ولكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان يقول له :

1- انظر : ابن سعد : **الطبقات الكبرى** ، جـ8 ، ص 101 .

2- رواه الحاكم وسكت عنه الذهبي. انظر : الحاكم ، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه: **المستدرك على الصحيحين**، 5 مج ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1990م ، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم ، باب ذكر زينب بنت جحش رضي الله عنها، رقم الحديث : (6775) ، جـ4 ، ص 25 .

3- انظر : ابن القيم : **زاد المعاد** ، جـ5 ، ص 159 – 160 .

4- انظر : الشوكاني ، محمد بن علي : **فتح القدير**، 5 أجزاء ، بيروت : دار الفكر ، ط2 ، سنة 1403 هـ ، جـ4، ص 399 . الثعالبي ، عبدالرحمن : **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** ، 3 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية، 1996م ، جـ2، ص575 .

((أمسك عليك زوجك)) [1] . فأنزل الله تعالى : چڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ چ الأحزاب: 37 . وأصبحت الحياة بين زيد وزينب لا تطاق ، وكان لا بدّ من الطلاق ، إلى أن أتى أمر الله عز وجل ، وغلب على ذلك كله ، فسمح لزيد بطلاقها [2].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا جعل الله تعالى في زواج نبيه – صلى الله عليه وسلم – من زوج متبناه بعد طلاقها إبطالاً للتبني واستئصالاً له من جذوره .

هذا هو ملخص هذه القصة ، ولكن العجيب في الأمر أن المطلع على كتب التفسير يجد كثيراً منها ذكرت أقوالاً اتُّخذت فيما بعد منطلقاً لكثيرٍ من الشبهات والشكوك التي تطعن في الإسلام، وترمي بالنقص أكمل الخلق وسيد الأنام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتشوه سيرته الشريفة .

فقد ذكرت هذه التفاسير[3] ما ملخصه : أنَّ نبينا محمداً – صلى الله عليه وسلم – رأى زينب بنت جحش وهي تحت زيد بن حارثة على حالة جعلت قلبه يتعلق بها ، ويودُّ لو فارقها زيد فيتزوجها ، وخشي أن يقول الناس : أمر رجلاً بطلاق امرأته ، ونكحها حين طلقها.

1– رواه الترمذي وقال : " حسن صحيح" . انظر : **الجامع الصحيح** ، كتاب التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة الأحزاب ، رقم الحديث : 3136 ، جـ9 ، ص266 . قال الألباني : " صحيح " . انظر الألباني ، محمد ناصر الدين : **صحيح وضعيف سنن الترمذي** ، 8 أجزاء ، مصر : مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة ، جـ7 ، ص212 .

2– جاء في صحيح مسلم " لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – لِزَيْدٍ : فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ. قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا . قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – ذَكَرَهَا فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي. فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَذْكُرُكِ . قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي . فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ . وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ . قَالَ : فَقَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – وَاتَّبَعْتُهُ فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ . وَيَقُلْنَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ ؟ قَالَ : فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أُخْبِرَنِي . قَالَ : فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَنَزَلَ الْحِجَابُ . قَالَ : وَوُعِظَ الْقَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ " .[انظر : **صحيح مسلم** . كتاب النكاح ، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس ، رقم الحديث : (1428) ، جـ2 ، ص 467] .

3– انظر: الطبري: **جامع البيان**، جـ20، ص273. القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ14 ، ص 167. الزمخشري: **الكشاف**، جـ3 ، ص427. وذكر ذلك ابن سعد في الطبقات. انظر: ابن سعد: **طبقات ابن سعد** ، جـ8 ، ص102 .

يقول الزمخشري : "وذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبصرها بعدما أنكحها إياه، فوقعت في نفسه ، فقال : سبحان الله مقلب القلوب ، وذلك أنّ نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ، ولو أرادتها لاختطبها ، وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ، ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أريد أن أفارق صاحبتي ، فقال : ((مالك : أرابك منها شيء؟)) قال :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا والله ؛ ما رأيت منها إلاّ خيراً ، ولكـــنها تتعظم عليّ لشرفها وتؤذيني ، فقـــال لـــه: ((امسِك عليك زوجك واتق الله)) ، ثم طلقها بعد " [1] .

هذه الرواية ذكرها الحاكم في مستدركه [2] قال ابن عمر : فحدثني عبد الله بـــن عـــامر الأسلمي ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : " جاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بيت زيد بن حارثة يطلبه ، وكان زيد إنما يقال له : زيد بن محمد فربما فقده رسول الله – صـــــلى الله عليه وسلم – الساعة فيقول : ((أين زيد ؟)) فجاء منزله يطلبه فلم يجده فتقوم إليه زينـــب فتقول له : هنا يا رسول الله . فولى فيولي يهمهم بشيء لا يكاد يفهم عنه إلا سبحان الله العظـــيم سبحان الله مصرف القلوب ... " .

وقد فتح مثل هذا القول الباب لأعداء الإسلام من المستشرقين والمنصرين ومـــن تتلمـــذ عليهم من أبناء المسلمين فاتخذوه دعامة لتجنيهم وتصايحهم واتفاقهم للمكيدة برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في كتبهم وأقوالهم .

ومن يقول بذلك ينسب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – أمرين :

1– تعلق قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – بزينب بنت جحش – رضي الله عنهـــا– بعـــدما أنكحها زيداً رضي الله عنه .

2– أنه أخفى في نفسه أمراً وأظهر خلافه : أخفى محبتها والرغبة في طلاقها ليتزوجها، وأظهر الحرص على بقائها مع زيد .

1– الزمخشري : **الكشاف** ، جـــ3 ، ص427 .

2– رواه الحاكم وسكت الذهبي . انظر : **المستدرك على الصحيحين** ، جـــ4 ، ص25 . وهذه الرواية ضـــعيفة لضـــعف عبدالله بن عامر الأسلمي ، قال عنه ابن حجر : ضعيف . [انظر : ابن حجر : تقريب التقريب ، جـــ2 ، ص226] .

ومثل هذا لا يليق قطعاً بالرسول – صلى الله عليه وسلم – للأسباب التالية [1]:

أولاً : الرواية ضعيفة لا يُحتج بها .

ثانيـــاً : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليس ممن يفتنـــون بالنســـاء ، أو يميـــل قلبـــه لرؤيتهن، أو يتزوج لمجرد الشهوة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : زينب ابنة عمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ربيت على مرأى منه ، فكان يعرفها حق المعرفة قبل أن يتزوجها زيد ، وما كان يخفى عليه ما تتمتع به من جمال ، فلو كان جمال المرأة يبهر الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويميل قلبه لخطبها لنفسه وتزوجها ، ولكنه ليس كغيره من الرجال الذين يفتنون بالجميلات ؛ ولذا خطبها لمولاه ومتبنَّاه ، فاستنكفت وأبى أخوها عبدالله بن جحش هذا الزواج ، ولكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أصرَّ عليه.

رابعاً : الأمر الذي أخفاه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأظهر خلافه وخشي أن يتكلم فيه الناس ، هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته ، والذي يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه .

خامساً : علة الزواج بزينب هي إبطال التبني وآثاره التي انتشرت في الجاهلية ، ومنها عدم الزواج بزوجة الابن المتبنَّى ، فزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من زينب قضى على التبني وآثاره السلبية .

يقول سيد رحمه الله : " فقد فرض له أن يتزوج زينب ، وأن يبطل عادة العرب في تحريم أزواج الأدعياء . وإذن فلا حرج في هذا الأمر ، وليس النبي صلى الله عليه وسلم فيه بدعاً من الرسل " [2] .

1- انظر : ابن حجر : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، جـ8 ، ص 672 . قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ5 ، ص2831 . هيكل ، محمد حسين : **حياة محمد** ، ط13 ، مصر : مكتبة النهضة ، ص 315 . مغنية ، محمد جواد : **التفسير الكاشف** ، 7 أجزاء ، ط3 ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1981م ، جـ6 ، ص220- 224 .

2- قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ5 ، ص2831 .

الفصل الرابع

خصوصيات الرسول – صلى الله عليه وسلم – في زواجه وأزواجه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تـــمـــهـــيـــد

المبحث الأول : خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول : ما أحل الله لرسوله من النساء

المطلب الثاني : حكم تطليق النبي – صلى الله عليه وسلم – واحدة من أزواجه

المطلب الثالث : قسمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين أزواجه بالسوية

المبحث الثاني : خصوصيات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول : وعظ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني : أحكام خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث : بعض أحوال أزواج النبي صلى الله عليه وسلم معه

تـــمـــهـــيـــد

خصّ الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – بخصوصيات دون بقيـــة أمتـــه ، والمـــراد بخصائص الرسول صلى الله عليه وسلم " ما أفرد الله تعالى به رسوله – صلى الله عليه وسلم – من أحكام دون بقية أمته، تشريفاً له وتكريماً " [1] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبحث في هذه الخصائص فيه فوائد ، منها :

1- أن الخصائص ومنها خصائصه في النكاح فيها زيادة علم بجانب من جوانب حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – يتعلق بسيرته وشمائله . ودراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والعلم بتفاصيلها من أفضل العلوم وأنفعها .

2- لا يجوز التأسي بالرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما هو من خصائصه ، ولذا وجب أن تُعلم كي لا يزعم زاعم جواز متابعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيها .

وقد أشار إلى هاتين النقطتين الشافعي والقرطبي ، فقال الشافعي : " إن الله – تبارك وتعالى – لما خص به رسوله – صلى الله عليه وسلم – من وحيه وأبان بينه وبين خلقه بما فرض عليهم من طاعته ، افترض عليه أشياء خففها عن خلقه ، ليزيده بها إن شاء الله قربة ، وأباح له أشياء حظرها على خلقه زيادة في كرامته وتبييناً لفضيلته " [2] .

وقال القرطبي " خصّ الله تعالى رسوله في أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد في باب الفرض والتحريم والتحليل مزية على الأمة وُهبت له ، ومرتبة خُص بها ، ففرضت عليه أشياء ما فرضت على غيره ، وحُرمت عليه أفعال لم تحرم عليهم ، وحُللت له أشياء لم تحلل لهم " [3] .

1- الأشقر ، عمر سليمان عبدالله : **مسائل من فقه الكتاب والسنة** ، ط3 ، عمّان : دار النفائس ، 1999م ، ص17 .

2- الشافعي ، محمد بن إدريس : **الأم** ، 8 أجزاء ، ط2 ، بيروت : دار الفكر ، 1983م ، جـ5 ، ص150 .

3- القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ14 ، ص211 .

المبحث الأول

خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول : ما أحل الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – من النساء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الله تعــالى : ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍﭼالأحزاب: 50 .

1- زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – أكثر من أربع نساء

أباح الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يعدد من النساء فوق الأربــع دون بقيــة أمته ، فالحد الأعلى الذي أباحه للرجال أن يجمع الواحد في عصمته في وقت واحد هــو أربــع زوجات ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﮔ ﭼالنساء: 3 ، وقد أمر الرسول – صلى الله عليــه وسلم – من أسلم على أكثر من أربع زوجات أن يختار أربعاً ويفارق من سواهن [1]. فالرســول – صلى الله عليه وسلم – عندما جمع من النساء في عصمته تسع نسوة في وقت واحد كان ذلك بتشريع إلهي رباني ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﭼ .

وقد أثار أعداء الإسلام عاصفة ظالمة من الشكوك والشبهات على تزوج الرسول – صــلى الله عليه وسلم – بأكثر من أربع نساء ، ورموه بسبب ذلك بصفات لا تليق ، وقد علم الله عز وجــل بما سيقوله المغرضون والضالون ، فأبان في هذا النص أن الذين يعترضون على رســوله فــي زواجه بذلك العدد إنما يعترضون على ربهم الذي أحل لرسوله ذلك العدد لا على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالله هو الذي أحل له ذلك .

1- عن سالم عن ابن عمر قال : أسلم غيلان بن سلمة الثقفي وتحته عشر نسوة في الجاهلية وأسلمن معه فأمره النبــي – صلى الله عليه وسلم – أن يختار منهن أربعاً . رواه أحمد. انظر : أحمد : **المسند** ، رقم الحديث :(5558) ، جـــ2 ، ص 83 . قال الألباني : " صحيح " . انظر : الألباني : **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام** ، ص146 .

وهناك نقطتان جوهريتان تدفعان الشبهة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وتلقمان الحجر لكل مفترٍ أثيم ، وهاتان النقطتان هما [1] :

أ- لم يعدد الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – زوجاته إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة ، أي بعد أن جاوز من العمر الخمسين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- جميع زوجاته الطاهرات ثيبات ، ما عدا السيدة عائشة رضي الله عنها ، فهي بكر ، وهي الوحيدة من بين نسائه التي تزوجها في حالة الصبا والبكارة .

ومن هاتين النقطتين ندرك تفاهة هذه التهمة ، وبطلان ذلك الإدعاء ، فلو كان المراد من الزواج الجري وراء الشهوة ، أو السير مع الهوى ، أو مجرد الاستمتاع بالنساء ؛ لتزوج صلى الله عليه وسلم في سن الشباب لا في سن الشيخوخة ، ولتزوج الأبكار الشابات لا الأرامل المسنات ، وهو القائل لجابر بن عبدالله حين جاءه وعلى وجهه أثر التطيب والنعمة : ((هَلْ نَكَحْتَ يَا جَابِرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : مَاذَا أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا ؟ قُلْتُ : لا بَلْ ثَيِّبًا . قَالَ :فَهَلا جَارِيَةً تُلَاعِبُكَ ؟ ...)) [2] .

يقول عبدالكريم الخطيب في تفسيره : " إن هذه التوسعة على النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحياة الزوجية لم تكن لمجرد قضاء الشهوة ، كما يقول بذلك أهل الضلالات والكيد للإسلام ، بل إن هذه الخصوصيات التي للنبي – صلى الله عليه وسلم – إنما كانت في مقصدها الأول علاجاً لحالات نفسية واجتماعية واقتصادية لا نجد لها الدواء الناجع إلا في ظلال النبي صلى الله عليه وسلم ، كما رأينا في زواجه – صلوات الله وسلامه عليه – من زينب مطلقة متبناه ، والذي كان من حكمته رفع الحرج عن المسلمين في التزوج من نساء أدعيائهم . وكما في زواجه – صلوات الله وسلامه عليه – من صفية بنت حيي ، وكان أبوها سيداً من سادات اليهود ، ورأساً من رؤوسهم ، فلما وقعت في السبي استنقذها النبي الكريم ، وحفظ كرامتها بزواجه منها . وهكذا نجد مع كل زواج تزوجه النبي – صلى الله عليه وسلم – حكمة قائمة وراءه أسمى وأعظم من مطلب المتعة وقضاء الشهوة " [3].

1- انظر : الصابوني : **تفسير آيات الأحكام من القرآن** ، جـ2 ، ص316 – 318 .

2- رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب المغازي ، باب قوله تعالى (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما) ، رقم الحديث : (4052) ، جـ5 ، ص96 .

3- الخطيب ، عبدالكريم : **التفسير القرآني للقرآن** ، 30 جزءاً ، ط1 ، بيروت : دار الفكر ، 1990م ، جـ22 ، ص737 .

2- المراد بالنساء اللاتي أحلهن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم

يظهر من النص السابق أن النساء اللاتي أحلهن الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – يندرجن ضمن الفئات الآتية :

الفئة الأولى : النساء اللاتي آتاهن أجورهن .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهن نساؤه اللواتي دخل بهن، وعددهن إحدى عشرة امرأة واجتمع عنده منهن في وقت واحد تسع [1].

والقول بأن المراد بالنساء اللواتي أحلهن الله لرسوله هن اللواتي دخل بهن هو قول أكثر أهل العلم ، وذهب بعض أهل العلم منهم ابن زيد والضحاك والقرطبي إلى أن المراد بالإحلال كل امرأة يتزوجها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويؤتيها مهرها [2].

والآية بناء على رأي الفريق الثاني ناسخة للآية المتأخرة عنها في هذه السورة، وهـــي قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼالأحـزاب: ٥٢. وقد استدل القرطبي بقوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ... ﭼ فـإن الإحلال لا يكون إلا بعد حظر [3] .

وهذا الاستدلال غير سديد، فإن الإحلال من الله لا يلزم أن يأتي بعـد حظـر ، كقولـه تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼالبقرة: 275 ، وقوله : ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼالمائـدة: 5 ، وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭼالمائدة: 96 . والصحيح ما ذهب إليه الجمهور لأمرين[4] :

الأول : قوله تعالى في الآية ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ فإنه خبر عن أمر ماض ، وهو محمول عليه بظاهره ، ولا يكون الفعل الماضي بمعنى الاستقبال إلا بشروط .

الثاني: أنه تبارك وتعالى عطف على إحلال الأزواج إحلال بنات عمه وعماته، وبنـات خالـه وخالاته ، وهذا يدل على أن المراد بالزوجات اللاتي أحلهن المدخول بهن . وإلا فلو أراد كـل امرأة أُوتيت مهرها لما عطف عليه بنات عمه وعماته ، لأنهن يكنّ داخلات فيهن .

1- انظر : ابن العربي ، محمد بن عبد الله أبو بكر: **أحكام القـرآن** ، 5 أجزاء ، ط2 ، القاهرة : دار الـدعوة ، 1967م، جـ3 ، ص1542 .

2- انظر : القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ14 ، ص.182

3- انظر : المصدر السابق ، جـ14 ، ص182 .

4- الأشقر : **مسائل من فقه الكتاب والسنة** ، ط3 ، ص20 .

وقد كان مهره – صلى الله عليه وسلم – لنسائه اثنتي عشرة أوقية ونصفاً أي خمسـمائة درهم فضة ، إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان فإن النجاشي – رحمه الله – أمهرها عنـه أربعمائـة دينار ، وأما صفية بنت حيي فإنه اصطفاها من سبي خيبر ثم أعتقها وجعل عتقهـا صِـداقها .

www.manaraa.com

وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقة أدى عنها مهرها إلى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها [1] .

الفئة الثانية : النكاح بملك اليمين

أباح الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – النكاح بملك اليمين چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ چ والمراد بما ملكت يمينه : الإماء اللواتي وصلن إليه من الفيء والغنيمة .

قال صاحب اللباب في علوم الكتاب : " واعلم أن اللائي ملكت يمينه مثل : صفية وجويرية ومارية القبطية"[2].

والسبب في اختصاص الرسول – صلى الله عليه وسلم – بهذا النوع من النكاح ؛ أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – شُرع له أن يصطفي من المغنم قبل قسمته بعضاً منه . وإلا فإن النكاح بملك اليمين تشريع عام للأمة جميعاً " [3] .

الفئة الثالثة : لا يجوز للرسول – صلى الله عليه وسلم – الزواج من غير المهاجرات ولا من الكتابيات .

أباح الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – زائدا على ما كان عنده من النساء بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته . واشترط لهذه الإباحة أن يكن من المهاجرات ، وفي هذا تعظيم لشأن الهجرة والمهاجرين والمهاجرات، وتقديم للمهاجرات على غيرهن. وإذا كان الله لم يبح لرسوله – صلى الله عليه وسلم – المؤمنات غير المهاجرات فمن باب أولى أن يحرم عليه الكافرات، وقد أشار إلى هذا قوله : چ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ ، فقد قيد المرأة الواهبة التي تحل للرسول – صلى الله عليه وسلم – بوصف الإيمان .

1- انظر : ابن العربي : **أحكام القرآن الكريم** ، جـ6 ، ص397 .
2- ابن عادل : **اللباب في علوم الكتاب** ، جـ15 ، ص567 .
3- انظر : الأشقر : **مسائل من فقه الكتاب والسنة** ، ص22 .

يقول ابن العربي : " وبهذا يتميز علينا فإنه ما كان من جانب الفضائل والكرامة فحظه فيه أكثر ، وما كان من جانب النقائص فجانبه عنها أظهر ، فجوز لنا نكاح الحرائر من الكتابيات ، وقصر هو لجلالته على المؤمنات . وإذا كان لا يحل له من لم تهاجر لنقصان فضل الهجرة فأحرى ألا تحل له الكتابية الحرة بسبب الكفر " [1].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمراد بالهجرة ؛ الهجرة إلى المدينة ، وقال ابن كثير چ ﮋ أسلمن [2] ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : ((والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)) [3] . والأول أصح ، لأن الهجرة إذا أطلقت وخاصة في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – تنصرف إلى الهجرة إلى المدينة .

والمراد بالمعية في الآية چ ﮋ چ الاشتراك في الهجرة ، لا الصحبة فيها [4] .

وإباحة الزواج من أبناء العم أو الخال ، وبنات العمة والخالة عدل وسط بين الإفراط والتفريط في مجال التشريع ، فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعداً ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى ، فأباح بنت العم والعمة ، وبنت الخال والخالة، وتحريم ما فرطت اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت [5] .

الفئة الرابعة : زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم – بطريق الهبة .

أحل الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يتزوج ممن وهبت نفسها له إذا رغب في ذلك من غير ولي ولا مهر ، والسر في عدم اشتراط الولي في النكاح في حق النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أن اشتراط الولي إنما شرع لقلة الثقة بالمرأة في اختيار أعيان الأزواج ، وخوف

1- ابن العربي : **أحكام القرآن** ، جـ3 ، ص1547 .

2- ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص 233 .

3- رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصي ، رقم الحديث : (6484) ، جـ8 ، ص102 .

4- انظر : ابن العربي : **أحكام القرآن** ، جـ3 ، 1548 .

5- انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص233 . الإيجي ، محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الشيرازي الشافعي : **جامع البيان في تفسير القرآن** ، 4 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004م ، جـ3، ص361 .

غلبة الشهوة في نكاح غير الكفء ، وإلحاق العار بالأولياء ، وهذا معدوم في حق النبي صلى الله عليه وسلم [1] .

وقد صح في كتب السنة أن أكثر من امرأة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم . ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساهلي قال : " أَتَتْ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

امْرَأَةٌ فَقَالَتْ إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ . فَقَالَ رَجُلٌ : زَوِّجْنِيهَا . قَالَ : أَعْطِهَا ثَوْبًا .قَالَ : لَا أَجِدُ . قَالَ : أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ ، فَاعْتَلَّ لَهُ ، فَقَالَ : مَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا . قَالَ : فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ " [2] .

وعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت :" كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا ؟! فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى چ ب ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ الأحزاب : 51 ، قُلْتُ : مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ " [3] .

وعن ثابت البُنانيّ قال : " كُنْتُ عِنْدَ أَنَسٍ وَعِنْدَهُ ابْنَةٌ لَهُ ، قَالَ أَنَسٌ : جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – تَعْرِضُ عَلَيْهِ نَفْسَهَا .قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَكَ بِي حَاجَةٌ ؟ فَقَالَتْ بِنْتُ أَنَسٍ :مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا ، وَا سَوْأَتَاهْ وَا سَوْأَتَاهْ . قَالَ : هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ رَغِبَتْ فِي النبي– صلى الله عليه وسلم – فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا " [4] .

وهذه النصوص تدل دلالة قاطعة على أن بعض المؤمنات وقع منهن هبة أنفسهن للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن العلماء اختلفوا في تزوجه امرأة من الواهبات ، فذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يتزوج من الواهبات امرأة ، وذهب الجمهور إلى أنه كانت عنده من الواهبات امرأة [4] . " قال قتادة : هي ميمونة بنت الحارث .

1- انظر : ابن العربي : **أحكام القرآن** ، جـ3 ، ص1549 .

2- رواه البخاري ، انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، رقم الحديث: (5029) ، جـ6 ،ص 192 .

3- رواه البخاري ، انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب النكاح ، باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد ؟ ، رقم الحديث : (5113) ، جـ7 ، ص12 .

4- رواه البخاري ، انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب النكاح ، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ، رقم الحديث: (5120) ، جـ7 ، ص 13 .

5- انظر : الماوردي ، أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي : **النكت والعيون** ، 4 أجزاء ، ط1، الكويت : وزارة الأوقاف ، 1982م ، جـ3 ، ص332 .

وقال الشعبي : هي زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار .

وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل : هي أم شريك بنت جابر الأسدية . وقال عروة بن الزبير : هي أم حكيم بنت الأوقص السلمية " [1] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذا نظر إذ لم يورد القائلون بهذا نصاً صريحاً موثقاً يدل على صحته .

قال ابن حجر : " والمحفوظ أنه لم يدخل بأحد من الواهبات " [2] .

يقول سيد قطب : " وقد تضاربت الروايات حول ما إذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قد تزوج واحدة من هذا الصنف من النساء أم لم يتزوج ، والأرجح [3] أنه زوّج اللواتي عرضن أنفسهن عليه من رجال آخرين ، وقد جعل الله هذه خصوصية للنبي – صلى الله عليه وسلم – بما أنه ولي المؤمنين والمؤمنات جميعاً . فأما الآخرون فهم خاضعون لما بينه الله وفرضه عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم " [4] .

ولا بدّ هنا من أن أشير إلى مسألة ، وهي : **حكم تزويج غير النبي – صلى الله عليه وسلم – بطريق الهبة .**

إذا تزوج رجل بطريق الهبة من غير ولي ولا مهر ولا شهود فإن هذا الزواج باطل لا شك في بطلانه ، ويقول المالكية والشافعية ببطلان نكاح من تزوج بطريق الهبة من غير مهر [5]. والحجة في ذلك قوله تعالى : چو و ۋ ۋ ىچالأحزاب: 50 ، فعدوا ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وأنه يتزوج بلفظ الهبة بغير مهر بتوفر الأمرين معاً ، وأن معنى الاختصاص يفيد عدم التأسي بالرسول – صلى الله عليه وسلم – في ما اختص به ، لأن الاختصاص في اللغة هو الانفراد عن الآخرين فيما شرع الله به بحيث لا يشمل الأمة فيما اختصه الله به [6] .

1- القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ14 ، ص185 .

2- ودليل هذا الترجيح حديث سهل بن ساعد الساهلي السابق . انظر ص80 .

3- ابن حجر : **فتح الباري** ، جـ8 ، ص674 .

4- قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ5 ، ص2876 .

5- الآمدي ، أبو الحسن علي بن أبي علي محمد : **الإحكام في أصول الأحكام** ، القاهرة : دار الكتب ، 1987م ، جـ1، ص247 .

6- انظر : الشاطبي ، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى : **الاعتصام** ، جزءان ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، جـ2، ص10 .

اتفق الفقهاء على أن النكاح ينعقد بلفظ الإنكاح والتزويج، وهما اللفظان الصريحان في النكاح .

واقتصر الشافعية والحنابلة على ذلك فلا ينعقد عندهم النكاح بغير هذين اللفظين قالوا لأن نص الكتاب ورد بهما وذلك في قوله تعالى {ولا تنكحوا ما نكح ءاباؤكم من النساء إلا ما قد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سلف} وقوله تعالى {فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها} ولم يذكر سواهما في القران الكـــريم، فوجب الوقوف معهما تعبدا واحتياطا، لأن النكاح ينزع إلى العبادات لورود الندب فيه، والأذكار في العبادات تتلقى من الشرع، والشرع إنما ورد بلفظي التزويج والإنكاح. وبهذا قال سعيد بـــن المسيب وعطاء والزهري وربيعة [1].

وذهب الحنفية والمالكية إلى القول انعقاد النكاح بلفظ التزويج والتمليـــك أو مـــا جـــرى مجراهما كالبيع والهبة والأعطية ، إلا أن المالكية قالوا ينعقد بها النكاح بشرط ذكـــر المهـــر . ويظهر أنهم إنما اشترطوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ذكر المهر لأن اسقاط المهر عندهم يـــؤثر في النكاح ، ولما كان النكاح بلفظ الهبة يشعر باسقاط المهر ؛ نُظر إلى أن لفظ الهبة من ألفـــاظ التبرعات ؛ لذلك قالوا ينعقد بها النكاح مع ذكر المهر .

واستدل المالكية والحنفية على انعقاد النكاح بهذه الألفاظ أو ما جرى مجراها بالآية التي استدل بها الشافعية وهي قولـــه تعـــالى چ ک ک ۈ ۈ ۆ ۆ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ېچ الأحـــزاب: ٥٠ ، ووجه الدلالة أنهم قالوا : إن هذا اللفظ انعقد به نكاح النبي – صلى الله عليه وسلم – فوجب أن ينعقد به نكاح أمته كلفظ الانكاح والتزويج [2] .

1- انظر : ابن قدامة ، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي : **المغني** ، 9 أجزاء ، الرياض : مكتبـــة الريـــاض الحديثة ، 1981م ، جـــ6 ، ص533 . البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء : **التهذيب فـــي فقـــه الإمام الشافعي** ، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض ، 8 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلميـــة ، 1997م ، جـــ5 ، ص311 .

2- انظر : الحصفكي ، ابراهيم بن أحمد بن علي بن يوسف : **الدر المختار وحاشية ابن عابدين** ، 8 أجزاء ، مصـــر : مطبعة البابي الحلبي ، جـــ2 ، ص364 – 365 . الدردير ، أبو البركات أحمد : **الشرح الكبيـــر بحاشـــية الدســـوقي** ، 4أجزاء ، مصر : مطبعة البابي الحلبي ، جـــ2 ، ص221 .

المطلب الثاني : حكم تطليق النبي – صلى الله عليه وسلم – واحـــدة من أزواجـــه

1- التحريم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يبدل نساءه أو يتزوج غيرهن

ذهب غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيـــد وغيـــرهم إلى أن قوله تعـــالى : چچ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑڑ ک ک ک

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ﮏ ﮐ ﮑﭼالأحـزاب: 52 . نزلت مجازاة لأزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – ورضاً عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم . فلما اخترن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان جزاؤهن أن الله قصره عليهن ، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن ، أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري ، فلا حرج فيهن (1) .

" وقد ذهب بعض من قال بهذا القول إلى أنّ الآية محكمة ، وهي ناسخة للإباحة المتقدمة في تزوجه من المؤمنات . وذهب إلى هذا الحسن وابن سيرين وأبو أمامة (2) ، وعلى هذا القول يحرم عليه – صلى الله عليه وسلم – التزوج بغير من عنده من النساء .

وقال فريق آخر : بل هذه الآية منسوخة ، والناسخ لها الآيات التي تقدمتها وهي قوله تعالى : ﭼﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﭼالأحزاب: ٥٠ ،وقوله : ﭼﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ الأحزاب: ٥١ . ويكون هذا مما نسخ فيه الأول الآخر في التلاوة في السورة الواحدة ، وهو نزر قليل كما يقول مكي بن أبي طالب (3) .

1- انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص235 .

2- ابن أبي طالب ، مكي : **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه** ، تحقيق : أحمد حسن فرحات ، ط1 ، جدة : دار المنارة ، 1986م ، ص386 .

3- انظر : المصدر السابق ، ص 386 .

وقيل هي منسوخة بالسنة (1) ، والقول بالنسخ مروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: " ما مـــات رســـول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى أحل الله له النساء " (2) .

ويرى ابن جرير أن قوله تعالى ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼيحرم على النبي – صلى الله عليه وسلم – بأن يتزوج بأي امرأة سواء كانت من الأصناف المذكورة أو غيرها ، فـــقد قـــال بعد حكايته أقوال المفسرين في الآية : " وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلكَ: لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي (إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ...) إلى قوله (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) . وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن قوله (لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ) عقيب قوله (إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ) وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين، فعل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأخرى منهما. فإذ كان ذلك كذلك ولا دلالة ولا برهان على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى، ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة، لم يجز أن يقال: إحداهما ناسخة الأخرى [3] " .

واستحسن ابن كثير ما حكاه ابن جرير فقال : " واختار ابن جرير رحمه الله أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمته وكنّ تسعاً . وهذا الذي قاله جيد ، ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف ، فإن كثيراً منهم روى عنه هذا وهذا ، ولا منافاة " [4] .

قال الطبري في قوله تعالى چڈ ژ ژ ڑڑ چ: " لما خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن " [5] .

وقد تزوج النبي – صلى الله عليه وسلم – بملك اليمين مارية القبطية وريحانة القرظية وكانتا لهنّ المنزلة السامية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

1- مكي : **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه** ، ص 386 .

2- رواه النسائي . انظر : **سنن النسائي الكبرى** ، كتاب النكاح ، باب ذكر أمر النبي صلى الله عليه و سلم وأزواجه في النكاح وما أباح الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه و سلم وحظره على خلقه زيادة في كرامته وتبيينا لفضله ، رقم الحديث: (5311) ، جـ3 ، ص260 . قال الألباني : "صحيح الإسناد " . انظر : الألباني: **صحيح وضعيف سنن النسائي** ، جـ7 ، ص267 .

3- الطبري : **جامع البيان** ، جـ 20 ، ص299 .

4- ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص236 .

5- الطبري : **جامع البيان** ، جـ 20 ، ص299 .

2- تحريم طلاق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

استدل الضحاك بقوله تعالى : چچ چ ڍ ڍ ڌ ڌچالأحزاب: 52 ، على تحريم تطليق الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأي واحدة ممن هنّ في عصمته بعد نزول الآية [1].

ولم يطلّق – عليه الصلاة والسلام – إلا حفصة ثم راجعها [1] . فإن قيل : إن كان تطليق النبي – صلى الله عليه وسلم – لأي من أزواجه محرماً ، فكيف طلّق حفصة إذن ؟

قال ابن كثير : " إنما دلت الآية على ألا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته ، وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ، ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال ، فالله أعلم " [3] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-الطبري : **جامع البيان** ، جـ 20 ، ص301 .

2- روى النسائي عن ابن عمر رضي الله عنه قال : أن رسول – صلى الله عليه وسلم – كان طلق حفصة ثم راجعهـا. [انظر : **سنن النسائي** ، كتاب الطلاق ، باب الرجعة ، رقم الحديث : (5755) ، جـ3 ، ص403 . قـال الألبـاني : صحيح. انظر الألباني: **صحيح وضعيف سنن النسائي** ، جـ 8 ، ص132].

3- ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص 236 .

المطلب الثالث : قسم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين أزواجه بالسويّـة

ألزم الله تعالى من كان عنده أكثر من زوجة بالعدل بينهن في القسم ، وكان القسم واجباً في حقه صلى الله عليه وسلم قبل نزول قوله تعالى ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼالأحـزاب: 51 . وكان صلى الله عليه وسلم أعدل من قسم بين أزواجه ، فلما نزلت الآية لم يعد القسم واجباً فـي حقه صلى الله عليه وسلم .

وإلى كون الآية نزلت توسعة على الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالقسمة بين نسائه، ذهب أكثر المفسرين ومنهم : ابن عباس ، والحسن البصري ، ومجاهد ، وقتادة ، وأبو رزيـن، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلـم [1].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويدل لهذا القول تعليل النص للحكم چ ڈ ڈ ٹ ٹ چ ، ويدل عليه ما رواه البخاري عن معاذة [2] عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَأْذِنُ فِي يَوْمِ الْمَرْأَةِ مِنَّا بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ { تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ } فَقُلْتُ لَهَا : مَا كُنْتِ تَقُولِينَ؟ قَالَتْ : كُنْتُ أَقُولُ لَهُ إِنْ كَانَ ذَاكَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا أُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ أُوثِرَ عَلَيْكَ أَحَدًا [3]. فلو كان واجباً عليه العدل بينهن لما استأذن نساءه ، ولما كانت إجابة عائشة – رضي الله عنها – ما أجابت به .

ومعنى الإرجاء التأخير [4] . وذكر ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم أرجأ سودة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة [5] .

وذكر ابن حجر والطبري في تأويل قوله تعالى چ ٻ ٻ چ أقوالاً [6] :

1- انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص234 .

2- معاذة بنت عبدالله العدوية أم الصهباء البصري ، وهي معدودة من فقهاء التابعين . انظر : المزي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي : **فتح الأشراف لمعرفة الأشراف** ، 14 جزءاً ، ط2 ، القاهرة : دارالكتاب الإسلامي ، 1993م ، جـ12 ، ص443 .

3- رواه البخاري ، انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب تفسير القرآن ، باب قول تعالى : چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ... چ ، رقم الحديث : (4789) ، جـ6 ، ص118 .

4- أرجأ الشيء : أخره ، [انظر : ابن فارس : **مقاييس اللغة** ، جـ2 ، 410].

5- انظر : الطبري : **جامع البيان** ، جـ20 ، ص292 .

6- الطبري : **جامع البيان** ، جـ20 ، ص294 . ابن حجر : **فتح الباري** ، جـ8 ، ص675 .

* جعله الله في حلٍّ من ذلك أن يدع من يشاء منهن، ويأتي من يشاء منهن بغير قسم، وكان نبي الله يقسم ، فيكون معنى ترجي : تؤخر . وتؤوي : تضم . قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد.

* تطلق وتخلي سبيل من شئت من نساءك ، وتمسك من شئت منهن فلا تطلق . قاله ابن عباس.

* تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء أمتك ممن أحلّهن الله لك . قاله قتادة عن الحسن .

* يؤوي إليه من يشاء ممن وهبت نفسها له .

واختار الطبري القولين الأخيرين ، قال : " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله – تعالى ذكره – جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء ، ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهن. إذا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها، فلا تقبلها ولا تنكحها، أو ممن هن في حبالك؛ فلا تقربها. وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء اللاتي أحللت لك نكاحهن؛ فتقبلها أو تنكحها، وممن هي في حبالك؛ فتجامعها إذا شئت وتتركها إذا شئت بغير قسم " [1] .

وقد استحسن ابن كثير ما ذهب إليه الطبري وجوده وقواه ، وقال : " وفيه جمع بين الأحاديث " [2] .

ويرى الزمخشري أنّ الآية تشمل القولين كما تشمل إباحة الطلاق ، قال : "وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض ؛ لأنه إما أن يُطلِّق ، وإما أن يمسك ؛ فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم . وإذا طلق وعزل ، فإما أنّ تخلي المعزولة لا يبتغيها ، أو يبتغيها " [3].

وقد نقل الألوسي فقه الزمخشري هذا ، ثم قال : " ولقد أجاد فيما أفاد " [4] .

1- الطبري : **جامع البيان** ، جـ20 ، ص294

2- ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص .435

3- الزمخشري : **الكشاف** ، جـ3 ، ص269 .

4- الألوسي : **روح المعاني** ، جـ22 ، ص62 .

الحكمة من وراء هذا التشريع :

بين الله الحكمة من وراء ذلك بقوله : چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ چ الأحزاب: 51 ، أي إذا علمت أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم ، فإن شئت قسمت ، وإن شئت لم تقسم فلا جناح عليك [1].

قال القرطبي : " قال قتادة وغيره: أي ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن أدنى إلى رضاهن إذا كان من عندنا، لأنهن إذا علمن أن الفعل من الله قرت أعينهن بذلك ورضين، لأن المرء إذا علم أنه لا حق له في شيء كان راضياً بما أوتى منه وإن قل . وإن عَلِم أن له حقاً لم يقنعه ما أوتي منه ، واشتدت غيرته عليه وعظم حرصه فيه . فكان ما فعل الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – من تفويض الأمر إليه في أحوال أزواجه أقرب إلى رضاهن معه، وإلى استقرار أعينهن بما يسمح به لهن ، دون أن تتعلق قلوبهن بأكثر منه " [2] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- انظر : ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص435 .

2- القرطبي : **الجامع لاحكام القرآن** ، جـ14 ، ص 190 – 191 .

المبحث الثاني

خصوصيات أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول : وعظ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

أولاً : تخييرهن بين الدنيا والآخرة

قال تعالى : ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼالأحزاب: 28 – 29 .

روى مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : " دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ . قَالَ : فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَاجِمًا سَـاكِتًا . قَالَ : فَقَالَ : لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خَارِجَةَ [1] سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ [2] عُنُقَهَا ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – وَقَالَ : هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ . فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا كِلَاهُمَا يَقُولُ : تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَا لَيْسَ عِنْدَهُ ؟ فَقُلْنَ: وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ . ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ چ ھ ھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى چ الأحزاب : 28 –29 ، قَالَ فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ. قَالَتْ : وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَتلا عَلَيْهَا الْآيَةَ ،قَالَتْ : أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ ؟! بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ. قَالَ : لا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا إِنَّ اللَّهَ

1– بنت خارجة هي : لهيّة بنت زيد ، زوجة عمر بن الخطاب وأم ولده . انظر : ابن الأثير : **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، جـ5 ، ص390 .

2– وجأت : طعنت . انظر : النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي : **شرح صحيح مسلم**، 16 جزءاً ، ط2 ، بيروت : دار المعرفة ، 1990م ، جـ2 ، ص1105 .

لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا"[1].

لقد اختار النبي – عليه الصلاة والسلام – لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف ، فقد كان الشهر يمضي ولا توقد في بيوته نارٌ [2] ، مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا ، فكان يختار الاستعلاء على متاع الدنيا والرغبة الخالصة فيما عند الله تعالى .

ولكن نساءه طلبن السعة في النفقة والبسط في الحياة ، فحزن الرسول – صلى الله عليه وسلم – حتى احتجب عن أصحابه ، حتى جاؤوا وأدخلوا عليه السرور بتعنيفهم لأزواجه على طلب متاع الدنيا والسعة في النفقة . ونزلت آيتا التخيير تحددان الطريق ، فإمّا الحياة الدنيا وزينتها ، وإما الله ورسوله والدار الآخرة ، فقال سبحانه : چ ھ ھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى چ

الأحزاب: ٢٨ – ٢٩.

فخيرهن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين أن يفارقهن ، فتحصل لهن البحبوحة والسعة ، وبين الصبر على ما عنده من ضيق العيش ورقة الحال ، ولهن عند الله في مقابل ذلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خير الجزاء . فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ؛ فاجتمع لهن في كنف الرسول – صلى الله عليه وسلم – خير الدنيا من حسن الذكر وطيب الثناء إلى يوم القيامة ، وفي الآخرة ما أعده الله لهن من عظيم المنزلة في عليين بجوار خير زوج في العالمين [3] .

وقوله تعالى : چ ڭ ۇ چ أي أعطيكن متعة الطلاق وهي : مال يعطى للمطلقة . وقوله : چ ۇ ۆ ۆ چ أي أطلقكن من غير ضرار وبدعة [4].

1- رواه مسلم : انظر : **صحيح مسلم** ، كتاب الطلاق ، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية ، رقم الحديث: (1978) ، جـ2 ، ص 1104.

2- عن عروة عن عائشة أنها كانت تقول: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – نَارٌ . قَالَ : قُلْتُ : يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ ؟ قَالَتْ : الْأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ وَالْمَاءُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – جِيرَانٌ مِنْ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ . [رواه مسلم . انظر : **صحيح مسلم** ، كتاب الزهد الرقائق ، باب شدة عيش النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث : (2972) ، جـ4 ، ص2282].

3- انظر : عبدالعزيز ، أمير : **التفسير الشامل**، 6 أجزاء ، القاهرة : دار السلام ، ط1 ،2000م، جـ5 ، ص2707 .

4- انظر : ابن الجوزي : **زاد المسير في علم التفسير** ، جـ6 ، ص204 . الزحيلي : **التفسير المنير** ، جـ22 ، ص288 .

ثانياً : مقدار ثوابهن وعقابهن

قال الله تعالى : چ □ ى ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ الأحزاب: 30 –31 .

بيّن الله سبحانه وتعالى لنساء النبي – صلى الله عليه وسلم – مقدار عقابهن إنْ أتين معصية كبيرة ظاهرة القبح كالنشوز وعقوق الزوج وسوء الخلق [1] ، فيكون عقابهن مضاعفاً لشرف منزلتهن ، وفضل درجتهن ، وتقدمهن على سائر النساء ؛ فهن أهل بيت النبوة ، وكان تضعيف العذاب لهن يسيراً هيناً على الله عز وجل الذي لا يحابي أحداً لأجل أحد .

والفاحشة: كلُّ شيء جاوَزَ قَدرَه ... ولا يكون ذلك إلاّ فيما يُتَكَرَّه [2] . وقال الزمخشري: " الفاحشة : السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة . والمبينة : الظاهرة فحشها . والمراد : كل ما اقترفن من الكبائر . وقيل : هي عصيانهن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– ونشوزهنّ ، وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله . وقيل : الزنا " [3].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما خيّر نساءه واختـرن الله ورسـوله أدبهـن الله وهددهن بالتوقي عما يسوء النبي ويقبح بهن من الفاشحة التي هي أصعب على الزوج من كل ما يأتي به زوجته ، وأوعدهن بتضعيف العذاب ، وفيه حكمتان [4]:

إحداهما : أن زوجة الغير تعذَّب على الزنا بسبب ما في الزنا من المفاسد ، وزوجة النبي تعذَّب إن أتت به لما فيه من إيذاء قلبه والإزراء بمَنْصِبِه ، وعلى هذا بنات النبـي – عليـه السـلام– كذلك، ولأنّ امرأةً لو كانت تحت النبي – عليه الصلاة والسلام – وأتت بفاحشـة ؛ تكـون قـد اختارت غير النبي على النبي ، ويكون ذلك الغير خيراً عندها من النبي وأولى ، والنبي أولـى من النفس التي هي أولى من الغير ، فقد أنزلت منصب النبي مـرتبتين فتعـذَّب مـن العـذاب ضعفين.

وثانيهما : أنّ هذا إشارة إلى شرفهن ، لأن الحرة عذابها ضعف عذاب الأمة إظهـاراً لشـرفها،

1– انظر : ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ، جـ15 ، ص539 .

2 – انظر : ابن فارس : **مقاييس اللغة** ، جـ4 ، ص381 .

3– الزمخشري : **الكشاف** ، جـ3 ، ص519 .

4– انظر: ابن عادل : **اللباب في علوم الكتاب** ، جـ 15 ، ص539 .

ونسبة النبي إلى غيره من الرجال نسبة السادات إلى العبيد لكونه أولى بهم من أنفسهم .

وقوله تعالى : چ □ □ □ □ □چ أي لا تمنعه مكانتهن من رسول الله – صـلى الله عليه وسلم – من عذابهن كما قد يتبادر إلى الذهن [1] .

وقـد بيّن الله عز وجل مقدار ثوابهن فقال : چ ب ب ب ب پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ . و " القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع " [2] .

ومعنى الآية : ومن تطع منكن الله ورسوله وتخشع جوارحها ، وتستجيب لأمر ربهـا ، وتعمل صالحاً ، يضاعف لها الأجر والثواب مرتين ؛ لكونها من أهل بيت النبوة ، وأعد الله لها زيادة على هذا رزقاً كريما في الآخرة .

فالآيتان تقرران أن الله جعل ثواب طاعة أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – وعقاب معصيتهن أكثر من غيرهن . وبينت الشريعة أنه كلما تضاعفت الحرمات تضاعفت العقوبـات ، ولذلك ضوعف حد الحر على العبد ، والثيب على البكر .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما كان أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – في مهبط الوحي ، وفي منزل أوامر الله تعالى ونواهيه قوي الأمر عليهن ، ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن ، فضـــوعف لهن الأجر والعذاب .

ثالثاً : التربية الإيمانية لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم

1- النهي عن الترقيق في الكلام والخضوع به .

قال الله تعالى : چ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ چ الأحزاب: 32 . والمعنى : إن أردتن التقوى ورضا الله ورسوله فلا تلنَّ بالكلام ولا ترققنه عند محادثة الرجال ، وليـــكن كلامكنّ بجدٍ وحـــزم وقوة حتى لا يطمع الخيانة مَنْ في قلبه ميل إلى الريبـــة والفســـق والفجور ، وقلن القول المعروف المعتاد الذي ليس فيه ترخيم الصوت ، البعيد عن الريبة الـــذي يختلف عن مخاطبة الأزواج [3].

1- انظر : قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ5 ، ص2857 .

2- الراغب : **المفردات في غريب القرآن** ، ص413 .

3- انظر : الزمخشري : **الكشاف** ، جـ3 ، ص521 .

وهذا النهي لا يعني أن أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – على حـــال مـــن الســـوء تقتضي المنع والكف ، وإنما المراد حملهنّ على أسمى الفضائل وملازمتها .

يقول سيد رحمه الله : " ومَنْ هنَّ اللواتي يحذرهن الله هذا التحذير؟ إنهن أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – وأمهات المؤمنين ، اللواتي لا يطمع فيهن طـــامع ، ولا يـــرفُ علـــيهن خاطر مريض ، فيما يبدو للعقل أول مرة . وفي أي عهد يكون هذا التحذير؟ في عهد النبـــي – صلى الله عليه وسلم – وعهد الصفوة المختارة من البشرية في جميع الأعصار ... كيف بنا في هذا المجتمع ، في هذا العصر ، في هذا الجو ، ونساء يتخنثن فـــي نبـــراتهن ، ويتمـــيعن فـــي أصواتهن، ويجمعن كل فتنة الأنثى ، وكل هتاف الجنس ، وكل سعار الشهوة ؛ ثم يطلقنـــه فـــي نبرات ونغمات؟ وأين هنّ من الطهارة ؟ وكيف يمكن أن يرف الطهر في هذا الجـــو الملـــوث ، وهن بذواتهن وحركاتهن وأصواتهن ذلك الرجـــس الـــذي يريـــد الله أن يذهبـــه عـــن عبـــاده المختارين؟ " [1] .

وقوله تعالى : چ ڄ ڄ ڄ چ فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريـــب لحـــنٌ، ولا إيماء ولا مزاح كي لا يكون مدخلاً إلى شيءٍ آخر وراءه من قريب أو من بعيد [2].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- الأمر بالقرار في البيوت والنهي عن التبرج

قال الله عز وجل : چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ چ الأحزاب: 33 ، ومعنى چ چ چ [3] الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة .

" وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقاً . إنما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن ، وهو المقر وما عداه استثناء طارئاً لا يثقلن فيه ولا يستقررن ، إنما هي الحاجة تقضى وبقدرها . والبيت هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى . غير مشوهة ولا منحرفة ولا ملوثة ، ولا مكدودة في غير وظيفتها التي هيأها الله لها بالفطرة " [4] .

1- قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ5 ، ص2859 .

2- انظر : المرجع السابق : جـ5 ، ص2859 .

3- قَـرّ: " قر في مكانه يقر قرارا إذا ثبت ثبوتا جامدا " . الراغب : **المفردات في غريب القرآن** ، ص 398 .

4- قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ5 ، ص2859 .

چ چ چ چ چ وذلك حين الاضطرار إلى الخروج بعد الأمر بالقرار في البيوت . ولقد كانت المرأة في الجاهلية الأولى تتبرج . وقد اختلف بالمراد بالجاهلية الأولى .

قال صاحب التفسير الشامل : " اختلفوا بالمراد بالجاهلية الأولى ، والأظهر أنها جاهلية الكفر قبل الإسلام ، وأن الجاهلية الأخرى هي جاهلية الفسق والفجور والضلال والبعد عن منهج الله عقب غياب الإسلام " [1].

ويُلحظ مما سبق أن الجاهلية الأولى كانت قبل البعثة المحمدية ، وأنّ الجاهلية الأخرى هي جاهلية الحكم بغير ما أنزل الله ، وهو مما يلاحظ في هذا العصر . فلقد أسهمت وسائل الإعلام المختلفة في إشعال الغرائز الجنسية عند المرأة والرجل على حدٍ سواء ، وإشاعة الفجور وإثارة الهوى والشهوة . وهذه الحضارة المادية الحديثة بجحودها وتمردها عن منهج الله عز وجل تحرض على التبرج والفاحشة وتعيدنا إلى عمى الجاهلية الأولى .

ذكر العلماء من صور التبرج في الجاهلية الأولى [2] :

* إذا خرجن من بيوتهن ؛ كانت لهن مشية تكسر وتغنج.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* التبختر وإظهار الزينة، وإبراز المرأة محاسنها للرجال.

* تلف الخمار عن رأسها ولا تشده ، فتظهر قلائدها وعنقها .

* تمر بين الرجال مسفحةً بصدرها لا يواريه شيء .

هذه هي صور تبرج الجاهلية الأولى التي حذَر منها القرآن الكريم وحرمها ليطهر المجتمع من آثارها ويبعد عنه عوامل الفتنة ودواعي الغواية والجريمة . ومن ينظر إلى مجتمعنا اليوم يجد هذه الصور لا تزال موجودة ، بل وغيرها الكثير الكثير مما لم تعرفه الجاهلية الأولى.

3 – مداومة الطاعة لله ورسوله .

قال تعالى : چ چ چ ڍ ڍ ڌ ڌ چ الأحزاب: 33 .

1– عبدالعزيز : **التفسير الشامل** ، جـ5 ، ص 2713 .

2– انظر : الطبري : **جامع البيان** ، جـ6 ، ص259 – 260 . ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص218. قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ5 ، ص2860 .

بعد أن أمرهن الله تعالى بالقول المعروف والقرار في البيوت ، أمرهن بإقامة الصلاة ، أي أدائها على الوجه المطلوب شرعاً من الخشوع وإتمام الأركان والشروط ، وإعطاء الزكاة ، وإطاعة الله ورسوله في كل أمر .

" وخص الله تعالى الصلاة والزكاة لأهميتهما وآثارهما الكبرى ، فالأولى طهارة النفس وعماد الدين ، والثانية طهارة المال وطريق مقاومة الفقر ، فهما عمودا الطاعة البدنية والمالية " [1] .

وأمرهن الله تعالى بالعام بعد الخاص بقوله : چ ڍ ڌ ڌ چ إذ ليس التكليف منحصراً بالصلاة والزكاة ، وإنما هو شامل لكل ما أمر الله تعالى به ونهى عنه ، وأمر الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – واحد [2] .

ثم بين الله سبحانه أن تلك الأوامر والنواهي والمواعظ ، ليذهب المأثم عن الزوجات الطاهرات في بيت النبوة ، وتطهيرهن من دنس المعاصي والذنوب ، وتعمير قلوبهن بنور الإيمان ، فقال سبحانه : چ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کچ وتوجيه الأوامر لهنّ لأنهنّ قدوة الأمة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والرِّجْس: القَذَر ؛ لأنّه لَطْخٌ وخَلْط [3] . " قال مقاتل : الرجس : الإثم الـذي نهـى الله النساء عنه ، وقال ابن عباس : يعني عمل الشياطين وما لبيس لله فيه رضى . وقـال قتـادة : يعني السوء . وقال مجاهد : الرجس معناه الشك " [4] .

وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت ، من هم ؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصة، لا رجل معهن . وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ . وقالت فرقة منهم الكلبي : هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة ، واحتجوا بقوله تعالى ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان "عنكن ويطهركن"، إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل ، كما يقول الرجل لصاحبه : كيف أهلك ، أي امرأتك ونساؤك،

1- الزحيلي : **التفسير المنير** ، جـ22 ، ص10 .

2- انظر : المرجع السابق ، جـ22 ، ص11 .

3- انظر : ابن فارس : **مقاييس اللغة** ، جـ2 ، ص 407 .

4- ابن عادل : **اللباب في علوم الكتاب** ، جـ15 ، ص547 .

فيقول: هم بخير، قـال الله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ هود: ٧٣ [1] .

وقد رجّح القرطبي أن الآية تشمل جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم ، فـقـال: والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهـل البيت من الأزواج وغيرهم ، وإنـما قـال: " ويطهركم " لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلياً والحسن والحسين كانوا فيهم ، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت ، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام [2].

4 – الأمر بتعليم القرآن والسنة والتذكير بالعلم .

قـال تعـالى : ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ الأحزاب:34 . والمعنى : تذكرن نعم الله عليكن من جعل بيوتكن مهابط الوحي ، ولا تنسين ما يتلى فيها من آيات الله من القرآن ، وما ينزل على الرسول – صلى الله عليه وسلم – مـن الحكمـة البالغة ، والأحكام والعلوم والشرائع[3] .

" قال قتادة : الحكمة هي السنّة . وقال مقاتل : هي أحكام القرآن ومواعظه " [4].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

" وإنه لحظ عظيم يكفي التذكير به ، لتحس النفس جلالة قدره ، ولطيف صنع الله فيه، وجزالة النعمة التي لا يعدلها نعيم . وهذا التذكير يجيء كذلك في ختام الخطاب الذي بدأ بتخيير نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – بين متاع الحياة الدنيا وزينتها ، وإيثار الله ورسوله والدار الآخرة . فتبدو جزالة النعمة التي ميزهن الله بها ، وضآلة الحياة الدنيا بمتاعها كله وزينتها " [5] .

1- انظر : الطبري : **جامع البيان** ، جـ 20 ، ص263 . القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ14 ، ص161 . ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم** ، جـ4 ، ص221 .

2- القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ14 ، ص162 .

3- انظر : المصدر السابق ، جـ14 ، ص.162

4- الطبري : **جامع البيان** ، جـ20 ، ص268 .

5- قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ5 ، ص2863 .

فالآية تبين شرف أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلو مكانتهن ، وارتفاعهن وسموهن بآيات القرآن الكريم ، وحظهن العظيم بسنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وأنهنّ المعلمات للأجيال ، وراسمات خطى العلم بالكتاب والسنة لمن بعدهن .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني : أحكام خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم

أولاً : فرض الحجاب عليهن

الحجاب : هو المنع . يُقال حجبته عن كذا ؛ أي منَعتُه [1] .

اختص الله نساء رسوله – صلى الله عليه وسلم – بإيجـــاب الحجاب عليهن بأن يغطين وجوههن دون غيرهن . قال تعالى : چۇ و و ۇ ۇ ې ې چالأحزاب: 53 .

وروى البخاري عن أنس قـــال : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْحِجَابِ [2] .

يقول الألوسي : " چۇ و چالضمير لنساء النبي صلى الله عليه وسلم المدلول عليهن بذكر بيوته عليه الصلاة والسلام أي وإذا طلبتم منهن ، چو چ أي : شيئا يتمتع به من الماعون وغيره چۇ چفاطلبوا منهن ذلك ، چۇ ې ې چأي : ستر " [3] .

ويقول أبو السعود : " چۇ و چ الضمير لسناء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته صلى الله عليه وسلم چو چأي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره چۇ چأي المتاع چۇ ې ې چأي ستر " [4] .

وقال الشوكاني : " چۇ ۇ ې ې چأي من وراء ستر بينكم وبينهن " [5] .

والذي يفهم من كلام المفسرين هو ستر الشخوص .

وقد ذهب القاضي عياض إلى أنه لا يجوز لأمهات المؤمنين إظهار شخوصـــهن ، وإن كنّ مستترات إلا ما دعت إليه الحاجة ، فقال: " فَرْض الحجاب مما اختصصن به، فهو فـــرض

1- انظر : ابن فارس : مقاييس اللغة ، جـــ2 ، ص115 .

2- رواه البخاري . انظر : **صـــحيح البخاري** ، كتاب تفسير القرآن ، بَاب قَوْلُـــهُ : چگ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ...چ ، رقم الحديث : 4790 ، جـــ6 ، ص118 .

3- الألوسي : **روح المعاني** ، جـــ22 ، ص63 .

4- أبو السعود : **ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، جـــ5 ، ص236 .

5- الشوكاني : **فتح القدير** ، جـــ6 ، ص69 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين ، فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ولا إظهار شخوصهن وإن كن مستترات إلا ما دعت إليه ضرورة من براز " [1] .

ولم يرتضِ ابن حجر ما ذهب إليه القاضي عياض ، فقال : " وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن ، وقد كن بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – يحججن ويطفن ، وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الأبدان لا الأشخاص " [2] .

وقد جاءت النصوص ذاكرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرغب في حجب شخوص أمهات المؤمنين ، فلم يحكم الله برأيه ، ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله قالت : " خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَمَا ضُرِبَ الْحِجَابُ لِحَاجَتِهَا وَكَانَتْ امْرَأَةً جَسِيمَةً لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ يَا سَوْدَةُ أَمَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِين فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي قَالَتْ : فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِي يَدِهِ عَرْقٌ فَقَالَ لِي عُمَرُ كَذَا وَكَذَا قَالَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ وَإِنَّ الْعَرْقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحاجَتِكُنَّ " [3] .

والصواب في المسألة أنه يزول فرض الحجاب عليهن عند خروجهن للحاجة كالحج وقضاء الحوائج وهذا ما يُستدل من الحديث ، أما ما دمن في منازلهم فوجب عليهن ستر شخوصهن كما أمرهن الله عز وجل في الآية والله أعلم .

وهذا ما رجحه أبو محمد الدينوري فقال : " ونحن نقول إن الله عز وجل أمر أزواج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالاحتجاب إذ أمرنا أن لا نكلمهن إلا من وراء حجاب فقال: ﭼ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨﭼ وسواء دخل عليهن الأعمى والبصير من غير حجاب بينه وبينهن لأنهما جميعاً يكونان عاصييْن لله عز وجل ويكنّ أيضاً عاصيات لله تعالى؛ ذا أذن لهما في الدخول عليهن. وهذه خاصة لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما خصصن بتحريم النكاح على جميع المسلمين ، فإذا خرجن عن منازلهن لحجٍ

1- ابن حجر : **فتح الباري** ، جـ8 ، ص680.

2- ابن حجر : المصدر السابق ، جـ8 ، 680 .

3- رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﭼ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼالأحزاب: ٥٣ ، رقم الحديث : (4795) ، جـ6 ، ص120 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو غير ذلك من الفروض أو الحـــوائـــج التي لا بد من الخروج لها زال فرض الحجاب لأنه لا يدخل عليهن حينئذ داخل فيجب أن يحتجبن منه إذا كـــن في السفر بارزات وكان الفرض إنما وقع في المنازل التي هن بها نازلات " [1] .

ثانياً : حرمة نكاحهن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

حرّم الله على المؤمنين التزوج من نساء الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد وفاتـــه، فقال : چ □ □ □ □ □ □ □□ □ ى ى ي ي □ چ الأحزاب: 53 . وكيف يحـــل لهـــم الزواج منهن وهنّ بمقام الأمهات ؟! چ ۇ ۇ چ الأحزاب: 6 .

قـــال الشافعي : " أزواجه اللاتى مـــات عنهن لا يحل لأحد نكاحهن، ومن استحل ذلـــك كـــان كافرا " [2].

قال القرطبي : " فأبقى عليهن النفقة والسكنى مدة حياتهن لكونهن نساءه، وحرمن علـــى غيره، وهذا هو معنى بقاء النكاح الناس، لان الرجل لا يعلم كونه مع أهله في دار واحدة، فربما كان أحدهما في الجنة والآخر في النار، فبهذا انقطع السبب في حق الخلق وبقي في حق النبـــي صلى الله عليه وسلم " [3].

ثالثاً : عدم وجوب العدة على أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته

يُستدل مـــن قولـــه تعـــالى : چ □ ى ى ي ي □ چ على عدم وجوب العدة على أزواج الرسول – صـــلى الله عليـــه وسلم – بعد وفاته ، لأن العدة مدة التربص التي ينتظر إباحة الزواج بعدها للمعتـــدة ، ونســـاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يباح لهن الزواج من بعده .

وقيل : عليهن العدة ، لأنهن زوجات توفي عنهن زوجهن ، وهي عبادة [4] .

1- الدينوري ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة : **تأويل مختلف الحـــديث** ، تحقيق محمد زهري النجار ، بيروت : دار الجيل ، 1972م ، ص 225 .

2- النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي: **المجموع** ، 20 جزءاً ، بيروت : دار الفكر ، جـــ16 ، ص145 .

3- القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـــ14 ، ص203 .

4- القرطبي : المصدر السابق ، جـــ14 ، ص203 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي رجحه ابن العربي أنه لا عدة عليهن ، وعلّل ذلك ببقاء الزوجية في حقهن واستمرارها . ومعنى بقاء النكاح في حقه – كما يقول ابن العربي – بقاء أحكامه من تحريم الزوجية ووجود النفقة والسكنى ، إذ جعل الموت في حقه عليه السلام بمنزلة المغيب في حق غيره ، لكونهن أزواجاً له قطعاً ، بخلاف سائر الناس ؛ لأن الميت لا يعلم كونه مع أهله في دار واحدة ، فربما كان أحدهم في الجنة والآخر في النار ، فبهذا الوجه انقطع السبب في حق الخلق ، وبقي في حق النبي صلى الله عليه وسلم [1].

1- انظر : ابن العربي : **أحكام القرآن** ، جـ3 ، ص1567 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث : بعض أحوالهن مع النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله عز وجل :

چ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ
ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ
ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ہ ۃ ۃ
ۃ ۃ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﯓ ﯓ ۇ ۇ ۆ چ التحريم: 1– 5 .

ذكر العلماء روايتين في سبب النزول وما الشيء الذي حرمه الرسول – صلى الله عليه وسلم – على نفسه .

أولاً : تحريم شرب العسل

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ دَارَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْهُنَّ ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي : أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ فَسَقَتْ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – مِنْهُ شَرْبَةً . فَقُلْتُ : أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَوْدَةَ وَقُلْتُ : إِذَا دَخَلَ عَلَيْكِ فَإِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ فَقُولِي لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ [1] ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ : لا . فَقُولِي لَهُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ : سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ . فَقُولِي لَهُ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ [2] وَسَأَقُولُ ذَلِكِ لَهُ وَقُولِيهِ أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى سَوْدَةَ قَالَتْ : تَقُولُ سَوْدَةُ : وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كِدْتُ أَنْ أُبَادِئَهُ بِالَّذِي قُلْتِ لِي وَإِنَّهُ لَعَلَى الْبَابِ فَرَقًا مِنْكِ . فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ ؟ قَالَ : لا . قَالَتْ : فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ ؟ قَالَ : سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ . قَالَتْ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ قُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى صَفِيَّةَ فقالت

1– " مغافير " : نبت كريه الرائحة يؤخذ من شجرة العرفط في الحجاز . انظر : ابن حجر : **فتح الباري** ، جـ9 ، ص473 .

2– " جَرَسَت " : رعت واهتمت . " العرفط ": هو نبات مر له ورقة عريضة تفرش بالأرض وله شوكة وثمرة بيضاء كالقطن مثل زر القميص ، وهو خبيث الرائحة . انظر : المصدر السابق : جـ9 ، ص 474 – 475 .

بِمِثْلِ ذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ ؟ قَالَ لا حَاجَةَ لِي بِهِ . قَالَتْ تَقُولُ سَوْدَةُ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ. قَالَتْ : قُلْتُ لَهَا : اسْكُتِي" [1].

www.manaraa.com

ثانياً : تحريم الجارية على نفسه

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً . فأنزل الله هذه الآية چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پپ پ پ پپ ٺ ٺ ٺ چ[2] .

قال ابن جرير : " والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبيّ صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على نفسه شيئًا كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته، وجائز أن يكون كان شرابًا من الأشربة، وجائز أن يكون كان غير ذلك، غير أنه أيّ ذلك كان، فإنه كان تحريم شيئ كان له حلالا فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه " [3].

وقد عاتب الله تعالى رسوله من منع نفسه بعض ما أباحه له قاصداً إرضاء أزواجه ، فبين له أنه سبحانه غفور لما فرّط منه من هذا المنع ، رحيم به فلا يعاقبه ولا يؤاخذه على تسرعه ، قال سبحانه : چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پپ پ پ پپ ٺ ٺ ٺ چ .

قال القرطبي : " وقد قيل إن ذلك كان ذنباً من الصغائر . والصحيح أنه معاتبةٌ له – صلى الله عليه وسلم – على ترك الأولى ، وأنه لم تكن له صغيره ولا كبيرة " [4].

وشرع الله تعالى تحليل الأيمان بأداء الكفارة المقررة في قوله تعال : چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې □ □ □ □ □

1- رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب الطلاق ، باب چ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ چ ، رقم الحديث : 5268، جـ7، ص44 . ومسلم . انظر: **صحيح مسلم** ، كتاب الطلاق ، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، رقم الحديث : 1474 ، جـ2 ، ص1100 .

2- رواه النسائي . انظر : النسائي : **سنن النسائي الكبرى** ، كتاب التفسير ، باب سورة القلم ، رقم الحديث : 11607، جـ6 ، ص495 . قال الألباني : صحيح الإسناد . انظر : الألباني: **صحيح وضعيف سنن النسائي** ، جـ9 ، ص13.

3- الطبري : **جامع البيان** ، جـ23 ، ص480 .

4- القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ18 ، ص160 .

□□ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ ى ى ئ ئ □ □ □ □ □ چ المائدة: 89 .

واختلف العلماء فيما إذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – كفّر عن يمينه أم لا على قولين :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- لم يكفِّر عن يمينه ، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإنما الأمر بالسورة لتعليم المؤمنين . قاله الحسن البصري [1] .

2- أنه كفّر عن يمينه فأعتق رقبة ، لأن الله تعالى طالبه بالكفارة بقوله تعالى : چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ چ التحريم: 2 ، وهذا قول مقاتل وزيد بن أسلم [2] .

وقد رجّح القرطبي أن النبي– صلى الله عليه وسلم – كفّر عن يمينه لأنه قدوة للأمة [3].

وفي المقابل عاتب رب العالمين ما كان من بعض أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – ووجهّهن نحو التوبة ، وعاتبهن على نشر سر النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال سبحانه: چ ک ک ک گ گ گ گ چ التحريم: 4 ، وهو تعظيم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصون سره وتكريمه .

كما ناصر رب العالمين رسوله الكريم، فقال: چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ چ التحريم: 4، أي تتعاونا على النبي– صلى الله عليه وسلم – فتضايقاه ، فإن الله هو وليه وناصره ، ووليه أيضاً جبريل – عليه السلام – وخيار المؤمنين [4].

قال سيد رحمه الله : " ومن هذه الحملة الضخمة الهائلة ندرك عمق الحادث وأثره في قلب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى احتاج الأمر إلى إعلان موالاة الله وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهيرا ! ليطيب خاطر الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويحس بالطمأنينة والراحة من ذلك الأمر الخطير " [5] .

1- انظر : القرطبي : **الجامع لأحكام القرآن** ، جـ18 ، ص164 .
2- انظر : المصدر السابق ، جـ18 ، ص 165.
3- المصدر السابق : جـ18 ، 122 .
4- انظر : الزحيلي : **التفسير المنير** ، جـ28 ، ص308 .
5- قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ6 ، ص3616 .

ثم جاء القرآن يهددهن بزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – من غيرهن. قال سبحانه: چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ چ التحريم: 5 .

روى البخاري عن أنس قال : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ : چ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ چ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآية [1] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا تحذير لهن بأن الله قادر إن وقع من النبي الطلاق أن يبدله أزواجاً أفضل منهن، قائمات بفرض الإسلام ، وكاملات الإيمان ، ومطيعات لله ورسوله ، وتائبات من الـــذنوب ، ومواظبات على العبادة ، ومتذللات لله ، وصائمات ، بعضهنّ ثيّب وبعضهنّ أبكارٌ .

ويُلحظ أن جميع هذه الصفات يمكن اجتماعها في موصوف واحد ، ما عدا الوصفين الآخرين ، لذا عطفا بالواو للدلالة على التغاير والتباين في الوصفين (2) .

والآية تتضمن غاية التهديد والوعيد على محاولات إيذاء النبي – صلى الله عليه وسلم – فإنه لا شيء أشد وأقسى على المرأة من الطلاق والعزم على التزوج بأخرى .

قال سيد رحمه الله : " وهو تهديد لهن ، لا بد كان له ما يقتضيه من تأثير مكايداتهن في قلب رسول الله – صـــلى الله عليه وسلم – وما كـــان ليغضب من قليل. وقد رضيت نفس النبي – صلى الله علـــيه وسلم – بعد نزول هـــذه الآيات ، وخطاب ربه له ولأهل بيته. واطمأن هذا البيت الكريم بعد هذه الزلزلة ، وعـــاد إليه هدوؤه بتوجيه الله سبحانه. وهو تكريم لهذا البيت ورعاية تناسب دوره في إنشاء مـــنهج الله في الأرض وتثبيت أركانـــه " (3) .

1- رواه البخاري . انظر : **صحيح البخاري** ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى : چ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ چ ، رقم الحديث : (4916) ، جـ6 ، ص158 .

2- انظر : الزحيلي : **التفسير المنير** ، جـ28 ، ص310 .

3- قطب : **في ظلال القرآن** ، جـ6 ، ص3617 .

هذا ما خصَّ الله تعالى به أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم ، ليرفع درجـــتهن ، ويعلـــي منزلتهن، ويضاعف أجورهن . فهن القدوة للأمهات الصالحات ، عطّرن السير بطيـــب عـــرف سيرتهن ، وقرت عين رسول الله بزواجهن ، وكان لهن الحظ العظيم بسنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فكن معلمات الأجيال ، وراسمات خطى العلم على مر الأزمان .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وأصلي وأسلم على سيدي وقرة عيني محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد :

في ختام هذه الرحلة المباركة عبر صفحات الكتب ، ومع هذا العدد الوافر من نصوص الكتاب والسنة ، والنوافذ العديدة التي أطلت على أقوال العلماء والمفسرين ، أودّ أنْ ألخّص أهم النتائج التي توصلت إليها بعد أن وفقني الله تعالى ، وأعانني على إتمام هذه الدراسة :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1- الرسول – صلى الله عليه وسلم – نشأ يتيماً ، ومع هذا فهو نبـــراس البشـــرية الأســـمى ، وهادي هداتها الأعلى ، اجتمعت مكارم الأخلاق فيه ، فلم يصدر منه ما ينافي أصول الدين قبل بعثته . ورغم فقره فقد أغناه الله غنائين : غنى القلب ، وغنى المال .

2- الأسرة هي جماعة الرجل الذين يتقوى بهم ، وهي المجموعة المتناســـلة مـــن الأب والأم ، تجمعهم مصالح مشتركة . وأسرة النبي – صلى الله عليه وسلم – كل أقاربه وأولاده وزوجاتـــه. وشكّلت بيوت النبي – صلى الله عليه وسلم – التي اتصلت تربتها بالسماء قدوة للفـــرد والبيـــت المسلم .

3- كانت معاملته صلى الله عليه وسلم لأهله معاملة حانية ، يرعى أهله ويتلطف معهم ، ليكون الأسوة الحسنة للمسلمين .

4- وضع المارقون الكثير من الشبهات حول الأسرة النبوية الشريفة كحادثة الإفـــك الذي هـــو أسوأ الكذب ، فاتهم المنافقون السيدة عائشة المبرأة من فوق سبع سماوات ورموها بالفاحشة، مما آلم البيت النبوي الشريف وبيوت المؤمنين الصادقين .

5- حادثـــة الإفك معركة انتصر فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – بصبره النافـــذ ، وثقتـــه الكاملة بأهل بيته الأطهار ، واستشارته لأصحابه الأفذاذ . وقد ظهرت الخيرية في هذه الحادثـــة في مواطن كثيرة ، فكشف الله مكائد المنافقين وزادت قوة التشريع الإســـلامي وقواعـــد الحيـــاة الاجتماعية ، وأيّد الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – وارتفعت مكانة السيدة عائشة رضي الله عنها .

6- كان للأسر المؤمنة دورٌ في مواجهة ما أشاعه المنافقون ، فأحسنوا الظن بالبيـــت النبـــوي الكريم ، وحَفِظهم الله تعالى من التكلم في هذه المحنة كما حفظ أزواج نبيه – صـــلى الله عليـــه وسلم – من الخوض فيها .

7- ربَّى الله تعالى المؤمنين تربية خُلقية من خلال حديث الإفك ، فنهاهم عمّـــا يشـــين كالزنـــا والقذف وإشاعة الفاحشة وتناقل الكلام بلا تثبت أو دليل ، والعدول عن الحلف على ترك فعـــل الخير . وحضهم على حسن الظن والصبر وضبط النفس وتحري الحق والاستجابة له .

8- تبنى النبي – صلى الله عليه وسلم – زيـــد بن حـــارثة قبل نزول آيات تحـــريم التبنـــي ، ونفى الله تعالى أن يكون المتبنَّى ابناً للمتبنِّي ، ودعا الله تعالى إلى إظهار النسب الحقيقي للأبناء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9- أثـــار المستشرقون شبهات حول زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – مـــن زينـــب بنـــت جحش – رضي الله عنها – مستغلين ما ورد في بعض كتب التفسير من تعلق قلـــب النبـــي – صلى الله عليه وسلم – بزينب والوقوع في حبها .

10- خصَّ الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – بخصائص في زواجه بأكثر مـــن أربـــع نساء ، وبيَّن لـــه أصنافاً من النساء يتزوج بهنّ ، ولم يُجِز له الزواج من غير المهـــاجرات ولا من الكتابيات . كما حرَّم عليه أن يبدل نساءه أو يتزوج عليهنّ أو يطلق واحدةً منهنّ . وجعل له الحرية المطلقة في القسمة بين نسائه .

11- خيَّر الله تعالى زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – بين الدنيا والآخرة ، فـــاخترن الله ورسوله ، وآثرن حياة الكفاف في الدنيا انتظاراً لحياة النعيم في الآخرة . وبيّن الله تعالى أنّهـــن لسن كسائـــر النساء في الثواب والعقاب ، فإن اتقين ضوعف ثـــوابهن ، وإنْ عصـــين عـــوقبن الضعف .

12- نهى الله تعالى زوجات نبيه – صلى الله عليه وسلم – عن الترقيق في الكلام والخضوع به والتبرج ، وأمرهن بالقرار في البيوت ، ومداومة الطاعة لله وللرسول – صلى الله عليه وسلم – وتعليم القرآن والسنة والتذكير بالعلم .

13- فرض الله تعالى غطاء الوجه على أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – دون غيرهن من النساء ، وحرّم عليهن الزواج بعد وفـــاة النبي صلى الله عيه وسلم ، ولـــم يجعـــل لهـــن عـــدة يعتددنها .

14- عاتب الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – لأنه منَع نفسه ما أباحه الله لـــه قاصـــداً إرضاء أزواجه ، وبين له أنه غفور لما فرط منه من هذا المنع ، ووجه سبحانه وتعالى زوجات نبيه – صلى الله عليه وسلم – للتوبة ، وبين لهن أنه ناصر رسوله ، وهددهن بأنه قـــادر علـــى طلاقهن وتزويج نبيه – صلى الله عليه وسلم – من غيرهن .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الآيات

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
البقرة	چٹ ڈ ڈ ف ف چ	275	79
آل عمران	چٹ ٹ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ چ	14	27
النساء	چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ چ	3	76
	چۇ ۇې چ	19	29
	چڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ...چ	143	59
المائدة	چۆ ۈ ۇ ۋۇ چ	5	79
	چأ ب ب ٻ ٻ چ	96	79

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

	چۏ ۏ ۈ ۇ ۇۆ ۆ ...چ	89	75
الأعراف	چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ...چ	32	27
التوبة	چ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ...چ	109	33
	چۏ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ و ... چ	47	43
يونس	چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑک ... چ	16	22
هود	چ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤڤ چ	73	98
يوسف	چ ژ ژڑ ڑ ک ک ک ک چ	18	65
إبراهيم	چ ۀ ۀ ق ق ۀ ۀ ...چ	7	27
الحجر	چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ	97	42
الأنبياء	چ ک ک گ گ گ چ	107	8
الحج	چ گ گ ڳ ڳ گ گ گگ ں ں ...چ	11	60
المؤمنون	چ ے ے ئ ئ ڭ ڭ ۇ چ	69	22
النور	چ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ ...چ	4	42
	چ ٱ ب ب ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ...چ	11	18 40 43 57 60
	چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ... چ	12	53 64 65
	چ ڃ ڃ ڃ ډ ډ ډ ډ ڈ ...چ	13	65
	چ ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ...چ	15	48 62
	چ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ...چ	16	40 48
	چ ۅ ۅ ۋ ۋ ې ې ۉ ۉ ې چ	17	49
	چ □ □ □ □□ □ □ □ □ چ	18	49
	چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ...چ	19	44 49 62
	چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ... چ	20	50
	چ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ... چ	22	63 66
	چ گ گ ڳ ڳ گ گ گ ...چ	23	41

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

	چۀ ۂ ہ ۔ ہ ہ ھ ہ ...چ	24	41
	چے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ...چ	25	41
	چۈ ۈ ۇ ۋۆ ... چ	26	3 18 47 61
القصص	چأ ب ب ٻ ٻ پ پ پٻ ...چ	85	25
الروم	چڈ ڗ ڗ ڗ ڑ ک ک ک ... چ	21	35
الأحزاب	چج ڃ ڄ ڄ ڃ چ چ چڃ ...چ	4	17 68
	چڳ ڳ ڳ گ گ گگ ... چ	5	69
	چۇ ۆ ۆ ۈ ۇۇ ۋ ۋو ...چ	6	102
	چه ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ...چ	28	18 91 92
	چۈ ۇ ۋ ۋ و و ۇ... چ	29	91 92
	چ□ □ □ □ □ □ □ □ ... چ	30	93
	چپ ب ٻ ٻ پ پ پٻ ... چ	31	93
	چڈ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ...چ	32	94
	چج ڃ ڄ ڄ ڃ چ چ چ... چ	33	1 26 95 96
	چگ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ... چ	34	98
	چأ ب ب ٻ ٻ پ پ پٻ ...چ	36	71
	چڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ...چ	37	13 18 72
	چں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۂ ہ ہ ...چ	38	18
	چٻ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □...چ	40	17 70
	چڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ...چ	50	17 77 83 84 85

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

	چ ب ب ب ب پ پ پ پ ...چ	51	17 82 85 88 90
	چ چ چ چ چ چ چ ڈ ڈ ...چ	52	17 79 85 87
	چ گ گ گ گ گ گ گ گ ...چ	53	18 26 100 102
	چ گ ں ں ٹ ٹ ڈ ڈ ہ ...چ	59	19
الحجرات	چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ	4	17 25
	چ أ ب ب ب ب پ پ پ پ ... چ	12	53
	چ چ چ چ چ چ چ چ چ ...چ	13	71
الذاريات	چ ڈ ٹ ۂ ہ ہ چ	21	9
التحريم	چ أ ب ب ب ب پ پ پ پ ... چ	1	18 104
	چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڤ ڤ چ	2	104 106
	چ ڤ ڤ چ چ چ چ چ چ چ ...چ	3	104
	چ ک ک گ گ گ گ گ گ گ ...چ	4	104 106
	چ ہ ہ ھ ھ ھ ہ ے ے ے ...چ	5	104 107
	چ ک ک ک گ گ گ گ گ گ ...چ	10	42
القلم	چ گ گ گ ں چ	4	29
الإنسان	چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ف چ	28	9
البلد	چ چ چ چ چ چ	1	17 24
	چ چ چ چ چ چ	2	17 24
	چ چ چ چ چ	3	17
الضحى	چ ڈ ڑ ڑ ڑ چ	6	17 21

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

	چ ک ک ک چ	7	17 21
	چ گ گ گ چ	8	17 22
	چ ٹ ٹ ٹ چ	11	28
الشرح	چ ہ ہ ہ چ	1	17
	چ ھ ہ ھ چ	2	17
	چ ے ے ے چ	3	17
	چ ﷺ ﷺ ﷺ چ	4	17
التين	چ ا ب چ	1	24
	چ ب ب چ	2	24
	چ پ پ پ چ	3	24
التكاثر	چ ہ ھ ھ ھ چ	8	27
الكوثر	چ ک ک ک چ	3	15

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1	((أربع من السعادة : المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ...))	27
2	((إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا))	29
3	((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ ، وَاصْطَفَى ...))	7
4	((إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده))	28
5	((أمســـك عليك زوجك))	73
6	((أهلي والله ما علمت عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك ...))	52
7	((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ))	53
8	((أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يـــرِيبُكِ ؟ ...))	54
9	((أين زيد ؟))	73
10	((بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنْ ....))	7
11	((بـــل فانـــكحيه فـــإني قد رضيته لك))	71

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12	((ثلاث لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة ...))	61
13	((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))	29 31
14	((سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ . قَالَتْ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ ...))	104
15	((فإن كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى ...))	37 52
16	((فاطمةُ بضعةٌ مني ، فمن أغضبها أغضبني))	31
17	((فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ. قَالَ : فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا ...))	72
18	((فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ))	12
19	((فيه ولدت وفيه أنزل علي))	24
20	((كَيْفَ تِيكُم؟ فَقُلْتُ :ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ ...))	37
21	((مالك : أرابك منها شيء؟ ...))	73
22	((مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَة ...))	81
23	((من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام))	69
24	((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ ...))	29
25	((هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ))	30
26	((هذه زوجتك))	12
27	((هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ ...))	91
28	((وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ...))	24
29	((والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه))	81
30	((هَلْ نَكَحْتَ يَا جَابِرُ ؟ ...))	78
31	((يا زينب ، ماذا علمتِ أو رأيتِ ؟...))	55
32	((يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ ،فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّه ...))	39

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

33	((يا معشر المسلمين ، مَنْ يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي))	51
34	((يا من حضر ، اشهدوا أن زيداً ابني، يرثني وأرثه))	68

المراجع والمصادر

1. القرآن الكريم

2. ابن أبي طالب ، مكي : **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه** ، تحقيق : أحمد حسن فرحات ، ط1 ، جدة : دار المنارة ، 1986م.

3. ابن الأثير ، علي بن محمد بن الأثير الجزري : **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، ط1، بيروت : دار المعرفة 1997م.

4. البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر : **أنساب الأشراف** ، 12جزءاً ، تحقيق محمد حميدالله ، مصر : دار المعارف .

5. الأشقر ، عمر سليمان عبدالله : **مسائل من فقه الكتاب والسنة** ، ط3 ، عمّان : دار النفائس ، 1999م.

* الألباني ، محمد ناصر الدين :

6. **السلسلة الصحيحة** ، 6 أجزاء ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

7. **صحيح وضعيف سنن الترمذي** ، 8 أجزاء ، مصر: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8. **صحيح وضعيف سنن النسائي** ، 12 جزءاً ، مصر: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة .

9. **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام** ، ط1، بيروت : المكتب الإسلامي ، 1405هـ .

10. الألوسي ، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني : **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، 30 جزءاً ، ط2 ، دمشق : دار القلم .

11. الآمدي ، أبو الحسن علي بن أبي علي محمد : **الإحكام في أصول الأحكام** ، القاهرة : دار الكتب ، 1987م .

12. الإيجي ، محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الشيرازي الشافعي : **جامع البيان في تفسير القرآن** ، 4 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2004م .

13. البخاري ، محمد بن اسماعيل : **صحيح البخاري** ، 8 أجزاء ، تحقيق محمد بن زهير ناصر الناصر ، ط1، بيروت : دار طوق النجاة ، 1422هـ .

14. البروسوي ، إسماعيل حقي : **تفسير روح البيان** ، 9 أجزاء ، القاهرة : دار سعادات.

15. البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء : **التهذيب في فقه الإمام الشافعي**، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوص ، 8 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1997م .

16. البليهي ، صالح بن إبراهيم : **يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تخدعي** ، ط3 ، القاهرة : دار المسلم للنشر والتوزيع ، 1996م .

17. البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي : **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1999م .

18. البوطي ، محمد سعيد رمضان : **المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني** ، ط1 ، دمشق: دار الفكر ، 1996 م.

19. التركي ، عبدالله بن عبد المحسن : **الموسوعة الحديثة شرح مسند أحمد**، 50 جزءاً، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1996م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

20. الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، **الجامع الصحيح** ، 10 أجزاء ، حققه عزت عبد القادر عطا ، ط2 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1996م.

21. ابن تيمية ، أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم الدمشقي : **تفسير سورة النور** ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط2 ، 1996 م .

22. الثعالبي ، عبدالرحمن : **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** ، 3 أجزاء ، ط1 ، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م .

23. الجزائري ، أبو بكر جابر : **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، 5 أجزاء ، ط2 ، المدينة المنورة : أضواء المنار ، 1419 هـ .

24. جمعة ، أحمد خليل : **نساء أهل البيت في ضوء القرآن والسنة** ، دمشق : اليمامة للطباعة والنشر ، 1999م.

25. الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي : **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية** ، 4أجزاء ، القاهرة : المكتبة الإسلامية .

* ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد :

26. **زاد المسير في علم التفسير**، 7 أجزاء ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1994م

27. **تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير** ، مصر : مكتبة الآداب .

28. الحاكم ، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه: **المستدرك على الصحيحين** ، 20 جزءاً، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1990م.

29. ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي : **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، 16 جزءاً ، تحقيق شعيب الارناؤوط، ط3 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997م.

* ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي العسقلاني :

30. **الإصابة في تمييز الصحابة** ، 4 أجزاء ، بيروت : دار الكتاب العربي ، جـ4 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

31. **تحرير تقريب التقريب** ، 4 أجزاء ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997م .

32. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، 15 جزء ، حققه الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، ط3 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2000م .

* حسّان ، محمد :

33. **الحقوق الإسلامية** ، ط1 ، المنصورة : دار فياض ، 2006م .

34. **لا تحسبوه شراً لكم** ، مصر ، المنصورة : دار فياض ، 2005م.

35. الحلبي ، علي بن برهان الدين : **السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)**، 3 أجزاء ، القاهرة : دار الاستقامة ، 1962 م .

36. حمادة ، فاروق: **الدوحة النبوية الشريفة** ، ط1 ، دمشق : دار القلم .

37. حمادي ، عبد المحسن : **مدخل إلى أصول التربية** ، ط4 ، الكويت : كويت تايمز، 1995 م.

38. الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت: **معجم البلدان** ، 5 أجزاء ، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ، بيروت : دار الكتب العلمية .

* حوى ، سعيد :

39. **الأساس في التفسير** ، 10 أجزاء ، ط1، القاهرة : دار السلام ، 1985م .

40. **المستخلص في تزكية الأنفس** ، ط11 ، القاهرة : دار السلام ، 2005 م.

41. أبو حيان ، محد بن يوسف الأندلسي الغرناطي : **البحر المحيط** ، 9 أجزاء ، بيروت: دار الفكر ، 1983 .

42. الخطيب ، عبدالكريم : **التفسير القرآني للقرآن** ، 30 جزءاً ، ط1 ، بيروت : دار الفكر، 1990م .

43. أبو داوود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني : **سنن أبي داوود**، 4 أجزاء ، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1996م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

44. الدردير ، أبو البركات أحمد : **الشرح الكبير بحاشية الدسوقي** ، 4أجـزاء ، مصـر : مطبعة البابي الحلبي .

45. الدولابي ، محمد بن الصباح : **الذرية الطاهرة** ، ط1 ، الكويت : الدار السلفية .

46. الدينوري ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة : **تأويل مختلف الحديث** ، تحقيق محمـد زهري النجار ، بيروت : دار الجيل ، 1972م .

47. الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان : **التلخيص** ، 4 أجزاء ، بيـروت : دار الكتب العلمية ، 1990م .

48. الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان : **تـاريخ الإسـلام وفيـات المشـاهير والأعلام** ، تحقيق الدكتور عمر ترميس ، ط1 ، بيروت : دار الكتاب العربي، 1987م، ص597 .

49. الرازي ، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين : **التفسـير الكبيـر** " **مفـاتيح الغيب**" ، 32 جزءاً ، ط2 ، بيروت: دار الكتب العلمية ، 1997 م.

50. الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد : **المفردات في غريب القرآن** ، ط2، بيروت : دار المعرفة ، 1999م .

51. الزاوي ، طاهر أحمد : **ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأسـاس البلاغـة** ، 4 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية .

52. الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني : **تـاج العروس** ، 10 أجزاء ، ط1، بيروت : دار مكتبة الحياء ، 1406 هـ.

* الزحيلي ، وهبة :

53. **التفسير المنير** ، 30 جزءاً ، دمشق : دار الفكر ، 1991م .

54. ندوة بعنوان : **حكم التبني وأبعاده الإنسانية والإجتماعية** ، باريس: مسجد الدعوة ، يوم السبت 28 – 4 – 2001 . موقع : د .وهبة الزحـيلي (www.zuhayli.net)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

55. الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد : **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ،4 أجزاء، بيروت : دار الكتب العلمية، 1995 .

56. أبو زهرة ، محمد : **خاتم النبين صلى الله عليه وسلم** ، جزءان ، ط2 ، قطر : دار إحياء التراث الإسلامي ، 1995 م.

57. زيدان ، عبد الكريم : **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة** ، جزءان ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة، 1999م .

58. ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري : **الطبقات الكبرى** ، 8 أجزاء، ط1 ، بيروت : دار صادر.

59. أبو السعود ، محمد بن محمد الحنفي العمادي : **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، 10 أجزاء، ط1، بيروت : دار صادر للتراث ، 1999 م .

60. السهيلي ، عبدالرحمن : **الروض الأنف في شرح السيرة النبوي لابن هشام**، 6 أجزاء، القاهرة : دار النصر .

61. ابن سيد الناس ، محمد بن عبدالله بن يحيى : **عيون الأثر في فنون المغازي والسير** ، جزءان ، ط3 ، بيروت : دار الأفاق ، 1982م .

62. السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، 10أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية .

63. الشاطبي ، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى : **الاعتصام** ، جزءان ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى.

64. الشافعي ، محمد بن إدريس : **الأم** ، 8 أجزاء ، ط2 ، بيروت : دار الفكر ، 1983م.

65. الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي : **سبل الرشاد في سيرة خيرة العباد** ، 11 جزءاً ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود و علي محمد معوض ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1993م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

66. الشعراوي ، محمد متولي : **تفسير الشعراوي** ، 16 جزءاً ، ط1 ، القاهرة : الأزهـــر (مجمع البحوث) ، 1991 م .

67. الشوكاني ، محمد بن علي : **فـتح القدير**، 5 أجزاء ، ط2 ، بيروت : دار الفـكـر ، 1403 هـ.

* الصابوني ، محمد علي :

68. **روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن** ، جزءان ، ط1 ، دمشق : مكتبة الغزالي، 1971م .

69. **صفوة التفاسير** ، 3 أجزاء ، ط9 ، القاهرة : دار الصابوني .

70. الصنعاني ، عبدالرزاق : **مصنف عبدالرزاق** ، 11 جزء ، تحقيـق حبيـب الـرحمن الأعظمي ، بيروت : المكتب الإسلامي .

71. الصوّاف ، محمد محمود : **فاتحة القرآن وجزء عـمّ الخاتم للقرآن تفسـير وبيـان** ، ط1 ، مكة : دار العلم ، 1985م .

72. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : **جـامع البـيان عـن تـأويل آي الـقرآن** ، 24 جزءاً ، ط1 بيروت : مؤسسةالرسالة ، 2000م .

73. الطباطبائي ، محمد حسين : **الميزان في تفسير القرآن** ، 20 جزءاً ، ط2 ، بيـروت : مؤسسة الأعلمي ، 1973م .

74. ابن عادل ، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي : **تفسير اللباب في علوم الكتـاب**، عشرون جزءاً ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1998 م .

75. ابن عاشور ، محد الطاهر : **التحرير والتنوير** ، 30 جزءاً ، تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

76. عبدالعزيز، أمير : **التفسير الشامل** ، 6 أجزاء، القاهرة : دار السلام ، ط1، 2000م.

77. ابن العربي ، محمد بن عبد الله أبو بكر: **أحكام القرآن** ، 5 أجزاء ، ط2 ، القاهرة : دار الدعوة ، 1967م.

78. عتريس ، محمد : **المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم** ، ط1 ، القاهرة : مكتبة الآداب، 2006م.

79. عرجون ، محمد صادق : **محمد رسول الله** ، 4 أجزاء ، دمشق : دار القلم ، 1995م.

80. العك ، خالد عبد الرحمن : **شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنّة** ، ط3، بيروت : دار المعرفة ، 2000م .

81. العويد ، محمد رشيد : **من أجل تحرير حقيقي للمرأة** ، ط1 ، بيروت : دار ابن حزم، 1993م.

82. الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي : **المستصفى من علم الأصول** ، دراسة وتحقيق: محمد بن سليمان الأشقر ، جزءان ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1417هـ ، 1997م .

83. الغزالي ، محمد : **خلق المسلم** ، ط1 ، دمشق : دار القلم ، 1998م .

84. ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا بن حبيب الرازي: **مقاييس اللغة** ، 6أجزاء، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، 1423 هـ.

85. الفايدي ، تنيضب : مقال بعنوان " بيوت النبي صلى الله عليه وسلم " **جريدة الرياض اليومية** www.alriyadh.com.

86. فرج ، السيد أحمد : **الأسرة في ضوء الكتاب والسنة** ، ط1 ، مصر : دار الوفاء .

87. ابن قدامة ، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي : **المغني** ، 9 أجزاء ، الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، 1981م .

88. القرطبي ، محمد بن أحمد : **الجامع لأحكام القرآن** ، عشرون جزءاً ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، ط1 ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، 1965 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* القرني ، عائض بن عبد الله :

89. **بهجة التفاسير** ، ط1 ، بيروت : دار ابن الحزم ، 2004م .

90. **محمد – صلى الله عليه وسلم – كأنك تراه** ، ط1 ، بيروت : دار ابن حزم .

91. قطب ، سيد : **في ظلال القرآن** ، 6 أجزاء ، ط1 ، القاهرة : دار الشروق ، 1997 .

92. القمي ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين : **غرائب القرآن ورغائب الفرقان** ، 6 أجزاء ، ضبطه وخرّج أحاديثه الشيخ زكريا عميرات ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1416هـ .

93. القوجوي ، محمد بن مصلح الدين مصطفى الحنفي : **حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي** ، 8 أجزاء ، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية .

* ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد :

94. **جلاء الأفهام** ، ط1 ، دمشق : دار الفكر ، 1988م.

95. **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، ط3 ، 6 أجزاء ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

* ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي :

96. **تفسير القرآن العظيم** ، ط1 ، 5 أجزاء بيروت: دار صادر ، 1999م.

97. **السيرة النبوية**، بيروت : دار الفكر.

98. **الفصول في سيرة الرسول** ، ط3 ، عمّان : دار أسامة للنشر ، 1998م .

99. الكازروني ، سعيد الدين محمد بن مسعود : **المنتقى من سيرة النبي المصطفى** ، 4 أجزاء ، ط1 ، فلسطين : دار الهدى للطباعة والنشر ، 2001م .

100. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر : **مسند الإمام أحمد – الموسوعة الحديثية** ، المشرف العام : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، شارك فيها : شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العرقسوسي ، وعادل مرشد ، وابراهيم الربيض ، ومحمد رضوان عرقسوسي ، وكامل الخراط ، 50 جـزءاً ، ط1 ، بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1996م .

101. المارودي ، أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغـدادي : **النكـت والعيون**، 4 أجزاء ، ط1 ، الكـويت : وزارة الأوقاف ، 1982م.

102. المباركفوري ، أبو العلا محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم : **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** ، 10 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية .

103. مراد ، يحيى : **افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها** ، ط1، بيـروت : دار الكتب العلمية ، 2004م.

104. المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي : **فتح الأشراف لمعرفة الأشـراف** ، 14 جزءاً ، ط2 ، القاهرة : دارالكتاب الإسلامي ، 1993م .

105. مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري : **صـحيح مـسلم بشرح النـووي** ، 16جـزء ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، ط2 ، بيروت: دار المعرفة 1999م .

106. مغنية ، محمد جواد : **التفسير الكاشف** ، 7 أجزاء ، ط3 ، بيروت : دار العلم للملايين، 1981م .

107. ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : **لسان اللسان** . جـزءان ، ط1، بيروت: دار الكتب .

108. المودودي، أبو الأعلى : **تفسير سورة النور** ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

109. النسائي ، أحمد بن شعيب : **سنن النسائي الكبرى** ، 6 أجـزاء ، ط1، بيـروت : دار الكتب العلمية ، 1991م ، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن.

110. النسفي ، عبدالله بن أحمد بن محمد : **تفسير النسفي** ، 4 أجزاء ، ط1 ، بيـروت : دار الكتاب العربي ، 1985م .

* النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي :

111. **شرح صحيح مسلم** ، 16 جزءاً ، ط2 ، بيروت : دار المعرفة ، 1990م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

112. **المجموع** ، 20 جزءاً ، بيروت : دار الفكر .

113. نويهض ، عجاج : **بروتوكولات حكماء صـــهيون** ، ط4 ، بيــروت : دار الاســتقلال للدراسات والنشر ، 1996م .

114. ابن هشام ، أبو محمد بن عبد الملك : **السيرة النبوية لابن هشام** ، 4 أجزاء ، بيروت: دار إحياء التراث .

115. الهيثمي ، أبــو العباس شهاب الدين أحمد بن حجر السعدي : **مــجمع الزوائـــد** ، 10 أجزاء ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1988م .

116. هيكل ، محمد حسين : **حياة محمد** ، ط13 ، مصر : مكتبة النهضة.

117. الواحدي ، أبو الحسن علي بن محمد النيسابوري : **أسباب النزول** ، تحقيــق الــدكتور مصطفى البغار ، ط1 ، دمشق : دار ابن كثير ، 1988م .

118. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية : **الموسوعة الفقهية الكويتية** ، 45 جزءاً، ط2، الكويت : دار السلاسل ، 1427هـ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Features of the Prophet's Family in the Holy Quran

By

Mohamed Said Mohamed Antari

Supervision

Dr. Odeh Abdullah

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirement for the Degree of Master of Islamic Law (sharia's) in Usol AD-DIN, Faculty of Graduate Studies at An-Najah National University. Nubles , Palestine .

2008

www.manaraa.com

Features of the Prophet's family in the holy Koran

Prepared by

Mohamed Said Mohamed Antari

Supervision

Dr.Odeh Abdullah

Abstract

The Prophet's family cleared a model guide to the families of Muslims, and talked about an interview with fun and interesting and burden of the House will talk about them?! They described the elite, inspired them and virtues of faith, and merits.

And have addressed in this study modest. Features family tube through the Koran, built the first concept of the Prophet's family, and their significance in the context Koran. And offered to the life of the Prophet - may God and peace - and aside from the morality through its inception and talk about his home, Oh God, who created it, for example for believers, and they get absolution from Allah.

Then talked about beset this family of the Prophet's noble suspicions raised by the enemies of Islam, and has been the story of the suffering (the incident Lies) and its impact on home-Sharif and homes of believers. The story of marriage and the Prophet - may God and peace - from Zaynab Bint Jahash blessings of God By, and raised suspicions of people wrong about this marriage and respond to them.

www.manaraa.com

And the specifics of the Prophet - may God and peace - in his marriage, and what they allowed God to him are women, and as stipulated in the marriage.

And at the end of this school I have been illustrated the specifics of the wives of the Prophet Mohammad, peace, and what God prepared for them from a great reward and high standing.

www.manaraa.com